

تهدف مجلّة الملحدين العرب إلى نشر وتوثيق أفكار الملحدين العرب المتنوعة وبحريّة كاملة، وهي مجلّةٌ رقميةٌ غير ربحيَّة، مبنيةٌ بجهودٍ طوعيةٍ لا تتبع أيَّ توجهٍ سياسي. المعلومات والمواضيع المنشورة في المجلّة عَثل آراء كاتبيها فقط، وهي مسؤليّتهم من الناحية الأدبيّة ومن ناحية حقوق النشر وحفظ الملكيّة الفكريّة.













الفهرس

الفهرس 2

كلمة تحرير المجلة

الشتات العربي بين الدين والمعرفة د. عبد العزيز القناعي

الاستعمار العربي صفحةٌ دمويةٌ في تاريخ مصر 8 إيهاب القسطاوي

الربوبية بين الدين والإلحاد Omar Hussein

قراءة في كتاب: تعليم المقهورين ياولو فريري بقلم: شادي سليمي

ملحد بغداد Ahmad F. Alabbasi

تصحيح المفاهيم: أنتم تلحدون لتتحرروا 49 من قيود الأخلاق Usama al-Binni

سيرة محمد بن آمنة ترجمة عن منشورات شارلي إيبدو

رواية سقوط الإله Noha Selem

کاریکاتور 21

فريق التحرير المشارك في هذا العدد

رئيس التحرير Gaia Athiest

أعضاء هيئة التحرير وبناء المجلة

John Silver Raghed Rustom الغراب الحكيم **Antoine Tannous** X. AHTOHOB Alia'a Damascéne غیث جابری Johnny Adams Liza Paloulian Ali Alnajafi أسامة البني (الوراق) A Koder Romario Gamal Abdu Alsafrani شادى سليمى Teky Mikky ليث رواندي RoRo Evil-Girl

ARAB ATHEIST BROADCASTING ((1)) قناة الملحدين بالعربي



الداخلي، لذلك علينا أن نكون رفقاء مع غيرنا وأن لا نسخّف منهم، ما داموا مسالمين لا يؤذون أحد. فالحياة صعبة كفاية في الخارج، لنكن متصالحين مع أنفسنا في الداخل.

Gaia Athiest

كلمة تحرير المجلة

كثير ما تأتينا أسئلة من قبيل: أيها الملحد ماهي الروحانية بالنسبة إليك؟ هل تشعر بها؟

لنبدأ بتعريف الروحانية في معجم أوكسفورد: هي الأمور التي تسمو فوق الماديات، وهي متعلقة بالمشاعر الداخلية للإنسان.

وقد جرت العادة أن يتم نسبها للأديان، ولكنها ليست خاصة بها في الواقع. بل إنه حين يتم التعمق في النصوص الدينية بحرفيتها، فإنها تكون جامدة إقصائية متحجرة ليس فيها مساحة للروحانية أو الإبداع. فالروحانية وهي كلمة مجازية نعتمدها هنا وهذا لا يعنى اعترافنا بوجود شيء يسمى الروح، ولكن بإمكاننا اعتبارها كلمة اصطلاحية تعبر عن كل ما يحقق الهدوء والسلام والسمو الداخلي للإنسان، يبتعد به عن المشاعر السلبية كالأحقاد والكراهية والعنصرية أو الرغبة في القتل أو السرقة أو الإيذاء، حيث أنها تربط الإنسان بالجزء الراقى منه، المتعالى، المتعاظم الخيّر، وليس الجزء الدنيء منه المتصاغر المؤذي له أو لغيره.

فكل شخص منا يبحث عن ما يحقق له هذا السلام والسمو الداخلي، وقد يجده في الكثير من الأمور، كالتأمل مثلًا، حيث يدرب الإنسان نفسه على التركيز في تنفسه، فيشعر أنه مع الوقت قد انفصل عما يحيط به من المحسوسات، وغاب في تفاصيل شهيقه وزفيره وتنقية ذهنه، وكأنه يقوم بعملية فورمات وتنظيم لكل مشاعره وطريقة تفكيره، فيشعر بالنقاء والصفو والسلام بداخله.

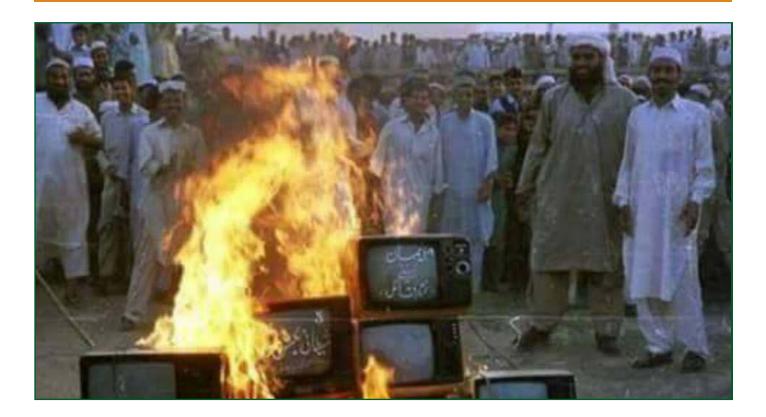
وقد يجده في مجرد عيش اللحظة والانغماس فيما يحيط به من أشكال وألوان وأصوات وروائح زكية كرائحة المطر أو الزهور أو الشجر أو الفاكهة، أو يمشى حافي القدمين فوق العشب أو الرمل، أو يشعر بدفءِ الشمس يلامسه مع نسمات الهواء المنعش، حيث يشعر بالامتنان في اللحظة لأنه حي يتنفس. ويستمد القوة والنقاء والتفاؤل والأمل من لحظات صغيرة كهذه.

وهكذا فالطيف واسع لكل الألوان وتشعباتها، ليس هناك إلهٌ معين من آمن به فقد وصل للروحانية، وليس هناك دين معين فيه روحانية مميزة عن غيره، بل إن كل إنسان حر فيما يختاره ويريحه، قد يجدها في تراتيل دينية، أو صلاة، أو غناء أو موسيقى، قد يجدها في لوحة أو رحلة أو رقصة أو قُبلة..

هنا لا فرق إن كان ملحد أو مؤمن، فالكل يحتاجون للسلام والسمو

الشتات العربي بين الدين والمعرفة

د عبد العزيز القناعي



الضعف والهوان العربي المستمران منذ عقود طويلة قضيتان شغلتا العديد من الباحثين والمختصين والمفكرين العرب. وأيضًا انشغل بالانحطاط العربي الكثير من الفلاسفة والمثقفين في الغرب نظرًا لما يحتله العرب من موقع تاريخيًّ والمثقفين وسياسيًّ في العصر الحديث تحديدًا. وتُركِّز واقتصاديًّ وسياسيًّ في العصر الحديث تحديدًا. وتُركِّز العديد من الدراسات والأبحاث على هذا الأمر وترجعه إلى العديد من العوامل والمسببات والعوائق، فقد قال علي عزت بيجوفيتش: (إن أسباب نهضة أمةٍ ما أو انحطاطها، تكون دامًا أسبابًا معقدةً ومتعددة الأبعاد والجوانب).

فإذا كان العرب قد شهدوا قديمًا نقلةً نوعيةً من حياة البادية والقبائل والإغارات، إلى نمطٍ شبه مدنيًّ قريبٍ من حياة التطور والازدهار والقوة وخصوصًا في العصرين العباسي والأموي. فما هي الأسباب الكامنة وراء تطور الشعوب الغربية اليوم؟ وأسباب تراجعنا حاليًا؟ وما هي الحلول الواقعية للنهوض بالأمة العربية والإسلامية؟

لا شك أن لكل أمةٍ تراثٌ وماضٍ وديانةٌ تستند إليها وتعتبرها موروثًا صحيحًا يساهم في تطورها وتهذيب أخلاقها وتربية أجيالها. ولكن ما يغيب عن العرب هو أن التطور والتقدم عمليةٌ لا تتوقف على الدين وتعاليمه، أو على البناء الفخم والسكن الفاخر والملابس الغالية والطعام الصحي بل أيضًا هي عمليةٌ تطال البنية الذهنية والعقلية لفرد. فنحن بكل بساطةٍ نعيش في القرن الحديث ولكن نفكر كما يفكر آباؤنا وأجدادنا وصحابتنا وأنبياؤنا وهم يعالجون قضاياهم ومشاكلهم في زمانٍ ومكانٍ آخرين، فحدث الانفصام والتناقض التاريخي بين الماضي والواقع.

فهل يمكن اعتبار الإسلام كديانة السبب الرئيسي لهذا التخلف الذي يقبع به العرب منذ قرون؟ أم أن هناك أسبابًا أخرى؟ فلا يمكن منطقيًا تحميل التعاليم الدينية كل هذا التخلف السياسي والاجتماعي والاقتصادي وإغفال العديد من العوامل المؤسسة كالأنظمة والحكام والجهل

والفساد والتعليم وغط الاقتصاد. فالإسلام عاملٌ واحدٌ من عواملَ كثيرةً لا تُحصى. فالقرب من الإسلام لا يعني أنه سيئ، ولكنه أيضًا ليس حلًا من الحلول للمشكلات والأزمات الحديثة.

فعلينا أن نفرّق بين الدين كعبادةٍ فرديةٍ وبين دور الإنسان في خلق الواقع وتغيير المستحيل وبناء المستقبل.

ففي تعاطٍ ساذجٍ مع أزماتنا يعزو الكثير من رجال الدين والفقهاء أن السبب الرئيسي لتراجعنا حضاريًا هو في بُعدنا عن الإسلام وعدم تطبيق الشريعة، وأيضًا في معاصينا ومخالفتنا لأوامر الدين واتباعنا للشهوات واستسلامنا للفتن ما ظهر منها وما بطن إلى آخر تلك الأسطوانة التاريخية منذ نشوء الإسلام وحرصه على قولبة العقل

المسلم داخله دون أي محاولةٍ للخروج من هذا النمط من التفكير والإيمان.



وبينما تستمر الأنظمة في السماح لمثل تلك الأيديولوجية والرضى عنها بل والدفاع عنها ضد من ينتقدها لِما تخلقه من كسلٍ وجمودٍ وابتعادٍ عن التفكير العلمي والعقلاني في الأسباب الحقيقية التي تمس الأنظمة بمؤسساتها وأفرادها وهيكلها. فإنها وبنفس الوقت تستمر في تبديد طاقات الشباب وفي استكمال السطو على الثروات وفي خداع الشعوب العربية بقضايا التنمية والحريات وحقوق الإنسان دون أي تغييرٍ جذريًّ في علاقات الانتاج المجتمعية أو في نُظم التعليم أو في نظام الحكم وتمكين الديمقراطية. فما زالت مجتمعاتنا في الدرك الأسفل من التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي، وما زالت عدودنا مسرحًا للصراعات الطائفية والحروب العالمية ومصالح الدول الكبرى، وما زالت الشعوب غارقةً بالجهل والفقر والوصاية والخوف. بل والطامة الكبرى تكمن في نسيان أن الغرب تفوّق علينا دون أن يتمسك بتعاليمه الدينية أو بالتردد على الكنائس والأديرة والمعابد اليهودية.

تاريخيًا، يمكن اعتبار فتوى تحريم الطباعة في العالم الإسلامي نقطة بداية انحدار العرب. فعندما أُخترِعت الطابعة في الغرب قام علماء الدولة العثمانية بإصدار فتاوًى تمنع دخول الطابعة إلى دول الخلافة الإسلامية. وسُمِح فقط لأصحاب الذمة من اليهود والنصارى باستعمالها، وفقط لطباعة كتبهم، ويجب ألّا تكون باللغة العربية.



وهكذا تعطل العقل المسلم وتوقف عن الترجمة والقراءة والاستفادة من كل ما يتعلق بالطباعة والكتب والنشر والتوزيع واكتفى بالدين وتفاسيره القديمة بعد أن تم التخلص من كتب الفلاسفة والمفكرين باعتبارها كتب تحض وتدعو إلى الزندقة والكفر والإلحاد.

لكن هل فعلًا أن التقدم التكنولوجي والتطور له علاقةٌ بالأديان والانتماء العرقيّ أو النسب كما ذكرنا، أم أنه يعتمد على رغبة البشر في المعرفة والاكتشاف واقتحام المجهول؟ فالواقع يقول، بينما أن الإنسان العربي يعيش مستهلكًا جهود غيره ولاعنًا للكفار والمشركين، فإن في العالم الآخر هناك شعوبٌ تنتج وتعمل وتفكر وتقرأ.

فالتقدم هو تطورٌ في العديد من المجالات العلمية والتعليمية ودراسة الأسباب والمسببات والنتائج، مثل نسبة الأمية والمتعلمين، قوة المناهج الدراسية، عدد العلماء والمخترعين. وفي الجانب الاقتصادي، ماهي قوة اقتصاد الدولة؟ وازدهار الصناعة والزراعة ونمط الاستثمار. وفي الجانب الاجتماعي نتحدث عن حقوق المرأة وانتشار العدل والأمن والاستقرار، كما وأن تماسك المجتمع ومدى حصول الإنسان على حقوقه وحرياته من أهم قضايا تطور الجانب الاجتماعي.

وفي الجانب الصحي، ما هو عدد الأطباء المختصين والمراكز الطبية، ونسبة الولادات والوفيات وطرق العلاج والصحة. وفي الجانب السياسي ما هو نظام الحكم؟ وهل الدولة دولةٌ علمانيةٌ ليبرالية أم شمولية. وغيرها من المعايير التي من خلالها يمكن تصنيف الدول إلى متقدمة أو متخلفة.

فمقولة أن العرب ليسوا متطورين لأنهم غير متمسكين بدينهم، هي مقولة تكذّب التاريخ والواقع. فإلقاء نظرة على المجازر المُرتكبة باسم النظام الديني السياسي، والنهب والاستعباد تكفي لنعرف مدى الظلم والاستبداد والقهر والتعطيل الذي حدث للشعوب والمجتمعات. نعم كان هناك علماءٌ في التاريخ الإسلامي، ولكن كان هناك احتلالٌ لأراضي الغير للسرقة وخطف النساء كجواري وأطفالهن كعبيد، نعم كان هناك علماء، لكن أغلبهم لم يكونوا عربًا من الأساس بل تم تكفيرهم والحكم عليهم بالردة.



يقول الباحث الفرنسي جاك ريسْلَرْ: (إن الإسلام بُني على ستة أركانٍ وليس على خمسةٍ فقط)، حيث يضيف الجهاد كَرُكْنٍ سادسٍ للإسلام، بعدما شاهد قوة العمليات الإرهابية واعتمادها على مصطلح الجهاد كارتكازٍ في العودة إلى الدين، وإغفال المعرفة والفلسفة والفنون والحريات والديمقراطية كأكبر العوامل في التقدم والتطور الحضاري والإنساني.

ومن هذا المنطلق يمكننا الجزم بأن العرب أمةٌ ضعيفةٌ وستظل كذلك طالما أنها تبتعد عن الأخذ بأسباب التقدم الحقيقية وتكتفي بما لديها من موروثاتٍ وثقافةٍ لم تعد صالحةً للاستهلاك.



كتاب الخطاء القرائي يحصر المئثر من الفين وخمسائة خطأ لغوي في القرائي ويترجم النول القرائي القرائي العرب الماريخي الصعبير النول القرائي لثلاث لغاس ويقدمه للأولى مرة بالترتيب التاريخي الصعبي

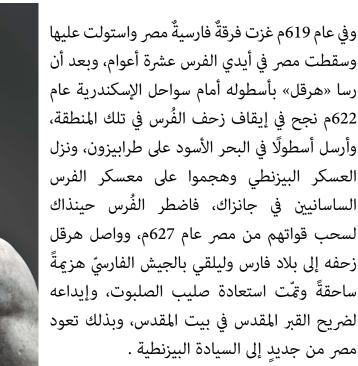
متوفر (الله مجانا جلى (الأنترنت وجلى موقع (أمانرو)

goo.gl/ei2Jce





غرقت مصر في مستنقعٍ من الاضطرابات السياسية في نهاية أيام الحكم البيزنطي، وفي بيزنطة نفسها انتهز الفرس تلك الاضطرابات السياسية وزحف ملكهم «خسرو برويز» الملقب بـ «كِسرى» إلى الأراضي البيزنطية في آسيا، وفي عام 613م دخل الفُرس إلى دمشق واستولوا عليها، وفي عام 614م استولوا على مدينة القدس واستولى «خسرو» على صليب الصلبوت من القبر المقدّس من أجل إهدائه لزوجته «شيرين» المسيحية المدينة بالمذهب اليعقوبي،





في تلك الأثناء، أي في العام 620م تولى الكرازة المرقسية البطريرك الثامن والثلاثون «بنيامين الأول»؛ عندما أرسل «هرقل» لمصر حاكمًا مدنيًا وفي نفس الوقت بطريركًا ملكانيًا هو «سيروس» أو «قوروس» والذي أُطلِق علية لقب «المقوقس»، وقبل أن يُرسل هرقل سيروس إلى مصر جرت مشاوراتٌ مع بطريرك القسطنطينية وبطريرك أنطاكيا لتوحيد المذاهب المسيحية على مبدأ جديد واحد يقول إنّ المسيح واحدٌ وفعلُه واحدٌ ومشيئته واحدةٌ، وأُطلِق على هذا المبدأ اسم «المشيئة الواحدة» Monotheletism، لكن هذه الحيلة لم تنطلي على المصريين، فرفض بابا مصر «بنيامين» الاعتراف بسلطة البطريرك الملكاني «سيروس»، مما عرّضة لاضطهادٍ شديدٍ ليضطر إلى ترك مدينة الإسكندرية والفرار إلى صحراء الإسقيط «شهات» بوادي النطرون، ليلتقي هناك بعددٍ محدودٍ من الرهبان بعد أن قتل الفرس عددًا كبيرًا منهم في العشرة أعوام الأخيرة، ومن جديد يترك بنيامين وادي النطرون ويفرّ إلى الصعيد للاحتماء هناك بعد أن طلب من أساقفته أن يتبعوه، وعيّن هرقل أساقفةً ملكانيين في نواحي مصر، واضطهد المصريين اليعاقبة اضطهادًا كبيرًا، وقامت في مصر موجةٌ من التنكيل والإذلال، وهجم البيزنطيون على الكنائس والأديرة ونهبوا الأواني المقدّسة وصادروا الأراضي والممتلكات وجلدوا الأقباط وقتلوهم واعتقلوهم وتمّ التنكيل بهم، وقبض سيروس على مينا أخو بنيامين وعذّبه حتى الموت



ومع احتقان واشتعال الموقف وازدياد وتيرة التنكيل بالمصريين هَجم العرب على مصر بقيادة عمرو بن العاص واستطاعت جيوشهم غزو بلاد الفرس والاستيلاء عليها، والانتصار على البيزنطيين والاستيلاء على الشام ليصلوا إلى مصر المنهوبة للاستيلاء عليها من البيزنطيين أيضًا؛ كانت مصر بطبيعة الحال تتميز بخصائصَ فريدةِ متعددةٍ تُميِّزها عن غيرها

من بلدان جنوب وشرق البحر المتوسط، ومن تلك الخصائص كَثرة عدد سكانها، وأراضيها الخصبة التي تُنتج الغلال، وموقعها المتوسط والمحمي عن طريق الصحاري، وكان عدد السكّان والغلال تعني للغُزاة كَثرة الضرائب والطعام الوفير والموقع الاستراتيجي، موقعٌ آمنٌ ومناسبٌ مكن أن يتحول لقاعدةٍ لتطوير هجماتهم على المناطق المجاورة لمصر، وهذه كانت من أهم الأسباب الرئيسية لجذب الطامعين لاحتلالها والتصارع على مُلكها عبر حقب التاريخ المختلفة.



استطاع الجيش العربي الغازي والذي قُدِّر عدده الأصلي -قبل تدعيمه بجيوشٍ أخرى-بحوالي أربعة آلاف محاربِ أن ينتصر على البيزنطيين وأن يُخرجهم من مصر عام 642م، وبطبيعة الحال فقد ملّت نفوسُ المصريين مرارةً وكراهيةً من البيزنطيين، ففرحوا وشعروا بالراحة وهم يشاهدون الجلّاد البيزنطي يترنّح ويقع مدحورًا على الأرض، فدخل الجيش العربي إلى مصر من رفح واستولى على «لاريس» أو «العريش» في 12 ديسمبر 639م، وزحف إلى «الفرما» التي كانت تُعدّ بمثابة أبعد حصون مصر من ناحية الشرق، وقامت هناك أول معركة حقيقية بين العرب والبيزنطيين واستمرت المعارك على أشُدّها، حتى اقتحم العرب الفرما في 13 يناير 640م وهدموا أسوارها، وبذلك غدوا قاب قوسين أو أدنى من الوصول لقلب الدِلتا، واستمر الجيش العربي الغازي في تقدّمة حتى وصل إلى الدِلتا واستولى على قريةٍ تدعى «النواصر» (والتي هي الآن قرية الجعافرة في مركز فاقوس في الشرقية)، ومن هناك دخلوا بلبيس واندلعت معاركٌ مع قوةٍ بيزنطيةٍ صغيرةٍ استمرت حوالي الشهر، وبعد أن انتصر العرب توغّلوا إلى مركز البيزنطيين في مصر «حصن بابليون»، فهو لم يكن بمثابة حصنِ أو قلعة، لكنّه كان عبارةً عن منطقةٍ واسعةٍ ما بين «أون» (عين شمس الآن) وقصر الشمع، وكان يُطلق على تلك المنطقة «مصر»؛ وصل عمرو بن العاص لأول قريةٍ في بابليون وكانت قريةً اسمها «دنين» أو «نندونيلس»، ومكانُها حاليًا جامع (ولاد عنان) في باب الحديد،





قام عمرو بن العاص بتقسيم المحاربين العرب إلى ثلاثة فرق، فرقةٌ حاصرت دنين والفرقة الثانية زحفت إلى شمال حصن بابليون والثالثة تمركزت في أون (عين شمس).

بعدما قام العرب بمحاصرة دنين استولوا عليها وأصبح في أيديهم موقعٌ منيعٌ على النيل فحصّنوه وزحفوا إلى حصن بابليون نفسه مقرّ كبار القادة البيزنطيين وبدأوا في محاصرته في مايو 640م، ولكن بعد أن قاموا بمهاجمته أدركوا أنهم غير قادرين على اقتحامه، فبعث عمرو بن العاص للخليفة في المدينة يطلب مددًا، ووصل المدد في 6 يونيه 640م، وكان عبارةً عن جيشٍ عدده حسب ما ذكره المؤرخون ما بين 4.000 و 12.000 محاربٍ عربيًّ تحت قيادة الزبير بن العوّام والمقداد بن عمرو والأسود ومسلمة بن مخلد، وبوصول الجيش بدأت المعارك تأخذ شكلًا حاسمًا لصالح العرب، فقد استخدم عمرو بن العاص المجانيق، وحاول أن يستدرج البيزنطيين لخارج الحصن لكنّ المجانيق وخطة الاستدراج لم تُقلح، وبعد حصارٍ دام سبعة أشهرٍ حطِّ العرب على جدار الحِصن من ناحية سوق الحمام بقيادة الزبير بن العوام، وعندما رأى البيزنطيون المحاربين العرب فوق الحصن خُيًل لهم أنهم اقتحموه، فهرب معظمهم واقتحم العرب الحصن وفتحوا بوابته، فتدفق المحاربون داخله ووقعت آخر جيوب الحصن في أيدي العرب في أغسطس من عام 640م.

في تلك الأثناء أرسل سيروس أو «المقوقس» إلى عمرو بن العاص يطلب عقد صلحٍ وجاء في بعض المصادر التاريخية: (إن المقوقس وقت المفاوضات كان في الحصن)، ولكن مصادر أخرى قالت إنه كان يتفاوض من جزيرة الروضة، وبعد مفاوضات عديدةٍ أُبرِمت معاهدةٌ بين الطرفين عُرِفت باسم «معاهدة بابليون» وذهب بعض المؤرخين إلى أنّه تمّ إبرام معاهدتين، الأولى مع سيروس والثانية مع قومندان الحصن، وبهوجب تلك المعاهدة فُرِض على المصريين دفع جزية (ضريبة راس) سنويةٍ مقدارها دينارين على كل رجلٍ مصريٍ بالغ، وقُدِّر تعداد الرجال المصريين البالغين آنذاك بحوالي ستة ملايين رجل، وكانت قيمة الجزية المفروضة حوالي 12 مليون دينار، وفوق جزيةُ الدينارين تمّ فرض ضريبةٌ على مثلاك الأراضي عبارةٌ عن ثلاث أرادب قمحٍ وقسطين من الزيت وقسطين من العسل وقسطين من الخلّ، وكان على المصريين أن يُعطوا لكلّ عربيٍ كلّ عامٍ جبّةً من الصوف أو ثوبًا قِبطيًّا وخُفِّين وبُرنس أو عِمّةً وسراويل، وقد استنكر هرقل من جهته توقيع نائبه سيروس على هذه المعاهدة على الرغم من كون سيروس اليوناني مندوبه الملكاني الذي لم هرقل من جهته توقيع نائبه سيروس على هذه المعاهدة على الرغم من كون سيروس اليوناني مندوبه الملكاني الذي لم عَشَّل المصريين والكنيسة المصرية.

بدأ البيزنطيون في تحصين مدينة الإسكندرية عاصمة مصر آنذاك ووصلت بواخرُ محملةٌ بالسلاح والعتاد، وقبل زحف عمرو بن العاص إلى مدينة الإسكندرية أرسل حملاتٍ استولت على قُرًى ومدنٍ مصرية مثل عين شمس وتنيس ودمياط وتونة ودميرة (في طلخا) ودقهلة وبوصير، كذلك أرسل حملاتٍ على الصعيد استولت على الأشمونين وأخميم وغيرها من المدن، وبدأت المواجهات بعد أن وصل العرب «ترنوط» (قرية الطرفة في كوم حمادة في البحيرة حاليًا)، ونشبت معركةٌ عنيفةٌ انهزم على إثرها البيزنطيين وانسحبوا إلى «كربون» (في كفر الدوار في البحيرة حاليًا)، لقد كانت كربون موقعًا عسكريًا مهمًا بها حصنٌ منيعٌ وكان بمثابة المفتاح للإسكندرية، وعندما رأى قائد الحصن العرب قادمين استنجد



بالحاميات القريبة ونشبت معركةٌ استمرت لمدة ثلاثة عشر يومًا، انتهت باستيلاء العرب على الحِصن وبعدها ظلّ عمرو بن العاص يتقدم حتى وصل لأول دفاعات الإسكندرية، وهي عبارةٌ عن حصونٍ وقلاع، فتوقف عمرو هناك لمدة شهرين وانتشرت عساكره في منطقةٍ واسعةٍ من «حلوة» حتى «قصر فارس»، في تلك الأثناء توقف عمرو بن العاص على مشارف الإسكندرية، بعد أن أرسل حملاتٍ عسكريةٍ للاستيلاء على المدن والقرى في شمال الدلتا وإقليم الجيزة ثم هاجم حصون الإسكندرية بعد سلسلة معارك شرسة، وأثناء فترة الحصار توفي هرقل بعد ما كان متأهبًا لقيادة جيشٍ زاحفٍ إلى الإسكندرية، وبعد ثلاثة شهورٍ من الحصار والمعارك تم إبرام معاهدة صلحٍ ودخل الجيش العربي الإسكندرية.

ولكن بعد أن انسحب البيزنطيون عاودوا الهجوم مرةً أخرى واستمرت المعارك إلى أن انتهت بهزيمتهم، لكن عمرو بن العاص اعتبر أنّ رجوع البيزنطيين والانتصار عليهم بعد الصُلح ينطوي عليه أنّ الإسكندرية لم تستسلم لكنها سقطت بالقوة، مما أعطاه الذريعة لنهب المدن، ولكن حينها استأذن عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطّاب في نهب الإسكندرية رفض الخليفة طلبه وطلب منه عقد صلحٍ مع البيزنطيين على أساس أن يقوموا بدفع الجزية له، وعليه سافر سيروس إلى القسطنطينية عاصمة بيزنطة من أجل أخذ تفويض بالصلح وعاد ومعه الموافقة، وطلب من عمرو بن العاص المحافظة على الكنائس وعدم التدخل في شؤون السُكّان الدينية وأن يسمح لليهود بالبقاء بالإسكندرية، وتم الاتفاق في نوفمبر 641م على أن يبقى الجيش العربي خارج الإسكندرية لمدة أحد عشر شهرًا حتى يتم خروج آخر عسكري بيزنطيّ في 17 سبتمبر 642م، وبذلك سيطر العرب على مصر بعد معاركِ استمرت عامان وأربعة أشهر، واستمر الوضع على هذا المنوال حتى محاولة البيزنطيين مرةً أخرى بقيادة مانويل الخصى الاستيلاء على الإسكندرية عام 645م، فنزلوا وهاجموا المدينة ونكلوا بالمصريين الذين ساعدوا العرب، وفي غضون ذلك قام عثمان بن عفان بعزل عمرو بن العاص إلى مصر من العاص عن ولاية مصر وولي مكانه عبدالله بن سعد، ولكن بعد هجوم البيزنطيين رجع عمرو بن العاص إلى مصر من أجل محاربتهم، وقامت معركةٌ عند نقيوس في البحيرة انقض فيها البيزنطيون على العرب فتقهقروا، لكنهم ما لبثوا أن استعادوا توازنهم مرةً أخرى وطاردوا البيزنطيين، وحصلت معركةٌ كبيرةٌ في شوارع الإسكندرية قُتل فيها أعدادٌ كبيرةٌ من الطرفين ثم طاردهم عمرو بن العاص في البر والبحر حتى خروجهم من مصر.





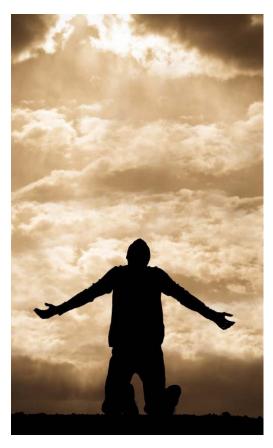
الربوبية ما بين الدين والإلحاد

التعريف الأيديولوجى لمفهوم الربوبية كفكرة عامةٍ ربما يكون معروفًا لدى الكثيرين، إلا أنّ هذا التعريف لا مكنه تحديد تفاصيل ومعالم مفهوم الربوبية بالشكل الذي يمكننا اختزالها فيه داخل إطار معين، مما قد يسبب أحيانًا الكثير من الخلط واللغط لمفهوم الربوبية لدى البعض، فالربوبية تختلف في ماهيتها عن ثوابت العقائد الدينية بشكل عام، وتختلف أيضًا عن الإلحاد الذي قد يشوبه في أحيان كثيرةٍ بعض الجمود لدى كثيرين من معتنقى الديانات ممن لديهم شكوكٌ في عقائدهم أو في بشرية دياناتهم قد يقضى عليها الإلحاد بجموده في بداية نشأة هذه الشكوك،





وتعتبر الربوبية حلقة الوصل بين الفكر الديني وبين الموقف الإلحادي والتي تستطيع بمرونتها معالجة بعض التناقضات والمنقوصات الموجودة في كلًّ منهما، وإن كان الإلحاد يتميّز عن الاعتقاد الديني بأنّه لا يزعم امتلاكه للحقيقة المطلقة، وإن سعى جاهدًا بالأساليب العلمية لاستكشاف كل ما يتعلق ببدايات الكون ونشأة الحياة على الأرض، كما أنّ الإلحاد لا يجد أي حرجٍ في الاعتراف بكل ما يثبته العلم حتى ولو أثبت العلم وجود صانع للبشر بشكلٍ خاصٍ أو للكون عمومًا، بعكس ما يعتقده معظم أصحاب الديانات في نظرتهم الضيقة للإلحاد في أنه يزعم داءًا امتلاكه لكل الحقائق محاربًا بندك الفطرة الإلهية المزروعة في الإنسان منذ نشأته، لذا فالإلحاد هو الأقرب للربوبية من المعتقدات الدينية، وإن كان الإلحاد قد يؤخذ عليه تمسكه بالنظريات العلمية المجردة وابتعاده عن الفلسفة القديمة التي هي في الأساس أصل كل العلوم والسبب الرئيس في نشأتها، فالعلم لا يستطيع وحده أن يجيب عن كل التساؤلات التي قد يطرحها العقل البشري اللامحدود، والذي يسبح بخياله داءًا فوق النظريات والثوابت العلمية حتى وإن كانت مسلمات لا تقبل الشك، ولولا هذا الخيال العقلي الفلسفي لما تقدم العلم قيد أنهلة ولما تعدلت النظريات غير الدقيقة التي كانت من الثوابت في عصرها، لذا فالاعتماد فقط على النظريات العلمية دون ربطها بالفلسفة لن يصل بنا إلى أكثر من المادة وماهيتها دون التي تصول وتجول بسفنها ومركباتها خارج غلافنا الجوي لم تصل حتى الآن لكيفية بناء الأهرامات الفرعونية منذ 5000 التي تصول وتجول بسفنها ومركباتها خارج غلافنا الجوي لم تصل حتى الآن لكيفية بناء الأهرامات الفرعونية منذ 5000 الكثير من الأمور العديدة الغامضة التي بُني على أساسها هذا الصرح الحجري البدائي.



والربوبية في حد ذاتها هي مجموعةٌ من فلسفاتٍ واسعةٍ وشاملةٍ تحتضن الكثير من الأفكار، لكن ليس لها قالبٌ معينٌ يمكننا من خلاله أن نطلق عليها مصطلح (المذهب الربوبي)، فلكل ربوبيٍّ فكره الخاص وماهية الخالق الذي يستسيغه عقله أو يطمئن له قلبه، إلّا أنهم يشتركون في النهاية بالاعتقاد بوجود هذه القوة الميتافيزيقية الخفية المجهولة، وكثيرٌ من الفلاسفة والمفكرين والعلماء والشخصيات التاريخية اعتنقوا الفكر الربوبي بوجهٍ عامٍ وربا قد يعتقد البعض أنهم كانوا ملحدين نظرًا لخروجهم عن ملل دياناتهم بعد تفنيدها واثبات بشريتها (وسأذكر بعضًا من هذه الشخصيات في آخر المقال على سبيل المثال)، وباعتبار المفهوم الربوبي مفهومًا غير ثابتٍ يختلف باختلاف العقلية المعتنقة لهذا الفكر باختلاف الثقافة والإدراك والإلمام بالفلسفة والعلوم وقراءة التاريخ ويصعب حصر أفكاره في إطارٍ واحدٍ، فسأتحدث بإيجازٍ عن بعض الحُجج التي قد يبني عليها الربوبي أفكاره من عدة جوانب مختلفةٍ بشكلٍ مبسطٍ دون التعمق في الفلسفات المختلفة والمتعددة للفكر الربوبي في حد ذاتها.



الربوبية ما بين الدين والإلحاد

فعدم الاقتناع بنظرية نشأة الخلية الأولى (عشوائيًا)، يؤدّي بالتأكيد إلى الاعتقاد بوجود صانع للبشر ربما لا تسري عليه قوانين الزمن، حيث أنه علميًا مِكننا بالفعل التحدث عن وجود خالقِ ليس له بدايةٌ أو نهايةٌ إذا وُجِد هذا الخالق في منطقة الزمن صفر، فما يسري على نظرية العدم الذي سبق الانفجار الكبير يسري أيضًا على هذا الخالق إن وُجِد، فبحسب نظرية (الأوتار الفائقة) فإنّ هذا الكون الذي ننتمي إليه ليس وحيدًا، بل هناك أكوانًا عديدةً متصلةً ببعضها البعض في تناغم متداخلِ كالسيمفونية الموسيقية ولكلِ منها قوانينه الخاصة، وبحسب نظرية الانفجار الكبير نجد أن الزمن موجودٌ بعد الانفجار الكبير وليس قبله، وإذا عاد هذا الكون بطبيعته الحالية إلى ما قبل الانفجار الكبير فسيموت الزمن، ويتضح ذلك مما يسمى (البيضة الكونية) التي وُلِد من رحمها هذا الكون المتمدد المتسارع، والتي كانت أقل حجمًا من الإلكترون بملايين المرات ورغم ذلك كانت بحسب النظرية بثقل هذا الكون كله (بافتراض أنها كانت ذات حجم غير معدوم من الأساس)، فلم يكن هناك للزمن أي وجودٍ في تلك (البيضة الكونية) قبل أنفجارها، بل أنه خُلِق بعد الانفجار وبطريقةٍ ما غير مفهومةِ حتى الآن فيزيائيًا، وبالتالي فلو بدأ هذا الكون في التقلص بدلًا من التمدد فسينتهي الزمن في النهاية، وبرصد المجرات القديمة نجد أن الأوكسجين قد ظهر في الكون بعد مرور لحظاتِ على ولادة هذا الكون، مما يجيز علميًا احتمال وجود حياواتِ أخرى خارج الأرض قد تكون لها عدة أشكالِ أخرى مختلفةِ غير التي تحتوي عليها مجرة درب التبانة، ومؤخرًا اكتشف العالم الفلكي الياباني (ناؤوكي يوسيدا) هو وفريقه بجامعة طوكيو مجرةً غريبةً أطلق عليها اسم SXDF-NB1006-2 تحتوي على 10% فقط من الأوكسجين الذي تتضمنه المجرة التي ننتمي إليها نظرًا لحداثة عمر هذه المجرة، وانتهى البحث إلى أن هذه المجرة قد ظهرت بعد مرور 700 مليون سنة بعد الانفجار الكبير وتفصلنا عنها مسافةٌ تقريبيةٌ تقدر ب13.413 مليار سنةٍ ضوئية، مما يعنى أن عمرها الحالى يتراوح بين هذين الحدين أي أنها مازالت في مرحلة الشباب،

وعندما نتحدث عن الربوبية كفكرة مجردة بعيدًا عن المعتقدات الدينية فسنجد أنه لا يوجد دليلٌ واحدٌ على وحدانية هذا الخالق، فربما كان هناك أكثر من صانع للبشر وربما أيضًا لا يستطيع هذا الخالق معرفة الغيب أو الإلمام بالمستقبل بالشكل الذي تناولته معظم الديانات، فيحتمل أن تكون مجرد



كائناتٍ أرقى من البشر تمتلك قدراتٍ لا نستطيع إلى الآن استيعابها، والتقدم العلمي المذهل للبشر والذي يتحرك بسرعةٍ هائلةٍ ربها يستطيع فيما بعد أن يخلق إنسانًا كاملًا من خليةٍ واحدة، لذا فالأمريكي أن يصل إليه بسهولةٍ من هم أرقى من البشر منذ زمنٍ سحيقٍ إن وُجِدوا، ومؤخرًا استطاع العالم الأمريكي (كريج فينتر) إنتاج ما يُسمّى (الخلية المركبة صناعيًا) وهي عبارةٌ عن إنتاج حياةٍ صناعيةٍ للجينات الحيّة الخاصة بنوعٍ من البكتيريا ثم أعاد وضعها داخل خليةٍ حيةٍ لنوعٍ آخر، مما سيؤدي في المستقبل إلى تخليق العلماء لخلايا ميكروبية حية (من العدم) لتقوم بإنتاج اللقاحات والوقود الحيوي، مما أثار مخاوف الإدارة الأمريكية من هذا الأمر ومطالبة الرئيس الأمريكي للجنة أخلاقيات الأبحاث التابعة للبيت الأبيض بتقديم تقاريرَ مباشرةٍ إليه شخصيًا عن نتائج دراستها لهذه الأبحاث البيولوجية، فهل سيستطيع العلم في المناه الم

يوم ما تخليق الإنسان من العدم ؟ ربما (١)



. لذا فالاعتقاد بوجود خالقِ للبشر لا يعني بالضرورة أنّ هذا الخالق هو صانع هذا الكون اللامتناهي، فلا يوجد ما يمنع (كفرضية) من وجود كائناتِ راقيةِ صنعت البشر من العدم ولا علاقة لها بنشأة الكون، كما أننا لا يجب أن نغفل أنّ الأزلية يختص بها الكون وحده دون كوكب الأرض، المكان الوحيد الذي ينبض بالحياة حتى الآن بحسب ما توصلت له معرفة الإنسان، وبالتالي ربما لا تتعارض أيضًا فرضية وجود صانع للبشر مع أزلية الكون، بل إنّه لا يوجد علميًا ما يتعارض مع احتمال وجود خالقِ للكون من العدم مع التأكيد على أنه في حالة الحديث عن فكرة وجود صانع للكون والبشر معًا أو صانع للبشر فقط فهو بالتأكيد ليس ما تناولته كل الديانات التي وُجدت على الأرض منذ نشأتها سواءً كانت ما تسمى بدياناتٍ سماوية أو غيرها من الديانات الحالية والقديمة والمندثرة، فلو تحدثنا عن فرضية وجود هذا الخالق فينبغي أن نشير إلى أنّه لا يوجد دليلٌ واحدٌ يمكننا الاستدلال به على أن هذا الخالق قد اتصل بالبشر بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، أو على اهتمام هذا الخالق بتسيير شؤون البشر وتدخله في مصائرهم أو الاكتراث بعبادتهم له من عدمها، وبالتالي فافتراض خالق للبشر لا يعنى بالضرورة أن يكون هذا الخالق إلهًا يُعبَد (وهذه نقطةٌ في غاية الأهمية)، كما أنّه يستحيل بطبيعة الحال إثبات وجود البعث والجنة والنار أو أي مظهر من مظاهر الحياة الأخرى بعد الموت التي تحدثت عنها الديانات بشكلٍ مثيرٍ للسخرية وبأفكار هزليةٍ مقتبسةٍ من أساطير كانت تتناسب مع عقليات تلك الأزمنة القديمة منها والسحيقة.

^{(1).} Minimal cell raises stakes in race to harness synthetic life.



في النهاية لا مكن لأحدٍ أن يعتقد بأنّه متلك وحده الحقيقة المطلقة في إقرار وجود خالق للكون أو للحياة من عدمها طالما لم يجزم العلم بذلك بشكلٍ مؤكد، بل ورجا لا يستطيع العلم الوصول فيما بعد إلى ما يبتغيه العقل البشري في هذا الشأن، لكن الأكيد في النهاية أنّ الربوبي والملحد هما في الحقيقة لا أدريين بشكلٍ أو بآخر مع اختلاف الأيديولوجيات التي تؤول إلى ذلك، وكلٌ منهما يحاول جاهدًا أن يبحث عن الحقيقة دون قيودٍ أو مخاوف كالتي زرعتها الديانات في عقول معتنقيها، فحولتها من عقولٍ لا محدودة إلى عقولٍ مقيدة حبيسة زنازين الكتب المقدسة لا مكنها الخروج عن النص، إلا أنَّ نطاق الفكر الربوبي قد يكون أوسع وأشمل وأكثر مرونةً من الموقف الإلحادي، بل ويستطيع أن يشمل تحت غطائه الكثير والكثير من المذاهب غير الدينية بلا تقييدٍ أو حصرٍ لأفكار هذه المذاهب، مع التأكيد على أنّ كلّ ما سبق هو مجرد اجتهادات ناتجةٍ عن إدراكي الشخصي في محاولةٍ مني لتبسيط مفهوم الفكر الربوبي بشكلٍ عام، والذي ربما يختلط على الكثيرين ممن يرون الفكر الربوبي غامضًا بعض الشيء، وربما إذا سنحتْ الفرصة فيما بعد سنتحدث عن فكرة الربوبية بشكلٍ أعمق من الناحية الفلسفية عند الفلاسفة القدماء، التي تناولت مفهوم الخالق من جوانب تأملية فكرية بحتةً فيما يُعرَف بالفلسفات الأولى.

ربوبيون:

أرسطو، سقراط، هيباتيا، ديكارت، ألبرت أينشتاين، جورج واشنطن، فولتير، جان جاك روسو، بنجامين فرانكلين، هيربيرت، توماس بين، إيثان إلن، توماس جيفرسون، بوب جونسون، جيمس ماديسون، جون أدامز، ماثيو تايندل، مكسيميليان روبيسبير، أنتوني كولينز، شمس الدين التبريزي، ابن سينا، جلال الدين الرومي، الحلاج، أبو بكر الرازي، أبو علاء المعري، جابر بن حيان، ابن المقفع، محي الدين بن عربي، ابن الرواندي، فرج فودة، نصر حامد أبو زيد.

كتبٌ عن الربوبية:

(تأملاتٌ ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى) لديكارت.

(عصر العقل) لتوماس بين.

(الربوبية ثورةٌ في الدين) لبوب جونسون.

(حياتي مع الله) لريمون فونتين.

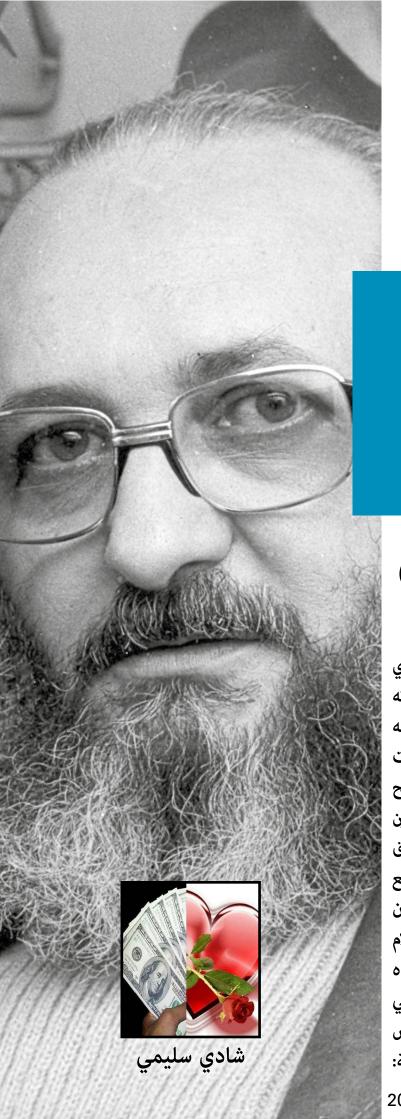
(يخرجون من الكنيسة) لريمون فونتين.

(السبب فقط أوراكل الإنسان) لإيثان إلن.

(تطور النفس واختراع الشر) لهنري جونز.







صفحة ثابتة نقدم فيها قراءة لأحد الكتب القيمة

تعليم المقهورين

للكاتب Paulo Freire

طالع القراء الاعزاء في هذا الكتاب الفلسفي الفكري للكاتب البرازيلى باولو فريري ذو الميول اليسارية نظرته وتجربته الحياتية مع الحرية ونظرته للمستقبل، وكتابه هذا خاص بالمقهورين والواقعين تحت سطوة وجبروت قاهريهم ويناقش خلال كتابه هذه الظاهرة، فيوضح في مقدمة كتابه موقفه ورأيه في اليساريين واليمينيين والراديكاليين من موقفهم من المستقبل. ويوضح الفروق بين المذهبية والراديكالية وكيفية تعامل كل منهما مع الواقع والمستقبل. ويوضح أن حرية الإنسان من الممكن ان تتحقق ولو بالمخاطرة من الوصول إليها. وكل هذا الكلام والفكر من الكاتب بهدف الوصول إلى عالم جديد يسوده الحب والسلام والذي يؤمن هو بأن هذا الوضع العالمي مكن تحقيقه وليس بالمستحيل. قبل الإطلاع على تلخيص الكتاب لا بد من تنويه القراء الأعزاء على الملاحظات التالية:





1- ملاحظة: قد يفقد القراء الأعزاء تركيزهم في أي لحظة أثناء قراءة الكتاب لكثافة محتواه الفكري، والمعلومات الهائلة التي يحتويها والأفكار شبه المعقدة بالنسبة للبعض، ولذلك يجب على القارئ التركيز جيداً وعدم المرور عن أي صفحة أو فقرة من الكتاب إلى التي تليها إلا بعد تأكده من فهم وإستيعاب ما ورد فيها.

2- عند قراءة الكتاب يلاحظ القراء تكرار كلمة "رجال" أو "الرجال"، وهذا مجرد خطأ عنصري قائم على التفرقة الجنسية من قبل مترجم الكتاب للغة العربية ليستثني النساء من كل عمل تحرري، والمقصود بالترجمة الحقيقية للكلمة اللاتينية الواردة في هذا الكتاب البرازيلي هي الناس أو البشر، وليست الرجال.

3- يشكل الكتاب في مجمله (وهذا ما على القارئ/ة أن يستنتجه) خطة ووصفة من الممكن تنفيذها واقعياً من أجل تحرير الناس والشعوب من جهات القهر والسيطرة، إبتداءً من إدارات المؤسسات الصغيرة جداً وإنتهاء بشعوب كاملة تقاوم محتلها أو حتى حاكمها.

PEDAGOGY OF THE OPPRESSED PAULO FREIRE

يطالع القراء الاعزاء في هذا الكتاب الفلسفي الفكري للكاتب البرازيلي باولو فريري ذو الميول اليسارية نظرته وتجربته الحياتية مع الحرية ونظرته للمستقبل، وكتابه هذا خاص بالمقهورين والواقعين تحت سطوة وجبروت قاهريهم ويناقش خلال كتابه هذه الظاهرة، فيوضح في مقدمة كتابه موقفه ورأيه في اليساريين واليمينيين والراديكاليين من موقفهم من المستقبل. ويوضح الفروق بين المذهبية والراديكالية وكيفية تعامل كل منهما مع الواقع والمستقبل. ويوضح أن حرية الإنسان من الممكن ان تتحقق ولو بالمخاطرة من الوصول إليها. وكل هذا الكلام والفكر من الكاتب بهدف الوصول إليها. إلى عالم جديد يسوده الحب والسلام والذي يؤمن هو بأن هذا الوضع العالمي يمكن تحقيقه وليس المستحيل.





پاولو فريري

ويتحدث الكاتب في الفصل الأول من الكتاب عن قضية الإنسانية ونقيضها (اللاإنسانية) ويصف الإنسانية كما جاء في تسمية الكتاب، بالضرورة التي يحتاجها المقهورون والضعفاء من أجل تحقيق وجودهم البشري المتكامل، بينما اللاإنسانية أو اللاأنسنة هي التي يمارسها القاهرون على المقهورين من أجل الإستمرار بالسيطرة عليهم، ويدعو المفكر من خلال كلامه إلى تكاتف كل المقهورين والمتعاطفين معهم من أجل تغيير هذا الوضع والخروج من سطوة القاهرين. ثم يجنح إلى التحذير من ممارسة المقهورين لنفس دور القاهرين في حال تمكنوا من أسباب القوة والسطوة. ويشرح لنا كيف القاهر والمقهور كلاهما بعيدان عن الحرية، ويوضح كذلك كيف يصبح المقهور قاهراً ولماذا يصبح كذلك، ويحث على عدم الوقوع في هذه الظاهرة بل إلى تحمل المسؤولية وإحلال الإنسان لذاتيته الخاصة بعيداً عن التجبر وقهر الآخرين.

ويصف المفكر باولو فريري هذه الظاهرة بأزمة المقهورين المأساوية، ويلمح في آخر إحدى الفقرات والفقرة التي تليها في هذا الجزء من الكتاب إلى أن السبيل إلى تحرير المقهورين يكون بالتعليم، وليس أي تعليم.

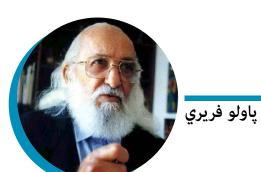
يبدو أن كلمة القهر ومشتقاتها سترد معنا كثيراً في هذا التلخيص لأن الكتاب كله يدور حول هذا الموضوع.

ويتحدث الكاتب عن طريقته في تعريف المقهورين بحالهم،

ويدلهم على طريق الحرية التي لا تتسم أبداً بالمثالية بل يربطها بالواقع ومظاهره وعقباته. ويستمر بحديثه عن القهر والمقهورين والقاهرين والتناقض القائم بينهم. ثم يتحدث عن النضال المضاد للوضع الراهن من أجل التغيير الذي يرتبط إرتباطاً وثيقاً بجهود الإنسان ولا يأتي بالصدفة. وتستمر أفكار فريري في أن الحرية يجب الوصول إليها من خلال النضال والإنقلاب على القهر.

ويتحدث بعد ذلك عن تعامل كلا طرفي القهر مع الحقيقة الموضوعية فمنهم من يتجاهلها ويتصرف بعصبية لأن التغيير يهدد مصالحه، ويدعو الناس لتحديد أهدافهم من أجل تحقيق أي إنجاز إنساني. وهذا يتطلب الوعي والبصيرة الواعية.

22





ثم يتطرق الكاتب للموضوع الذي دل عليه عنوان هذا الكتاب، لضرورة تبصير الجماهير، وبمعنى آخر تعليمها.. أي تعليم المقهورين. ويبدأ بعد ذلك في التفصيل في هذا الموضوع وذكر ملامحه ومراحله ويشرح ملامح كل مرحلة من مرحلتي تعليم المقهورين، ثم يوضح علاقة ممارسة القوة والعنف بالقهر. ويأتي على وصف كلاً من الأعمال التي يقوم بها القاهر والمقهور، ومتى تبدأ وتنتهي العلاقة بين القاهر والمقهور. ويذكر المفكر أن الحل ليس بعكس الوضع القائم وإنها بإنهاء ظاهرة العنف والنزعة الإمتلاكية التي تشكل أساس عملية القهر. ويتحدث الكاتب في إحدى الصفحات التالية عن صفات القاهرين الجشعين التي تثير الغضب في القلوب وتوضح كم بلغوا من مستويات التجبر والطغيان.

وأكبر صفة موجودة بوضوح لديهم هي السادية التي تجردهم من إنسانيتهم وتحولهم إلى مجرد أشياء. ويسخر الكاتب من بعض القاهرين الذين ينتقلون إلى صف المقهورين من أجل دعمهم وتحريرهم فعلاً ولكنهم يحتفظون بصفات طبقتهم القديمة ولا يثقون بأي خطوة يقدم عليها المقهورين وهذا من التناقض الذي يقتضي مخاضاً آخر من أجل التحول إلى طبقة الجماهير. ويصف جزءاً من نفسية المقهورين ومطامحهم في بعض الأوقات لتمثل حياة قاهريهم والتصرف مثلهم وكيف يبذلون طاقاتهم وجهودهم في محاولة الوصول إلى المساواة مع أفراد الطبقة العالية.

ويقرر في مجرى كلامه بعض الحالات التي يفكر فيها المقهور ضد نفسه فيحقر من نفسه ويفقد الثقة ويرفع قاهره بتفكيره إلى أعلى المراتب. وكل هذا نتيجة لإستبطانه لآراء قاهره المتأصلة بداخله. وكل هذا من شأنه أن يقضي على الروح النضالية التي تقود إلى الحرية. ويشدد الباحث على ضرورة نزع صورة القاهر من داخله من أجل القدرة على الإستمرار في النضال الذي يؤدي به في النهاية إلى نيل حريته التي سلبه إياها القاهر.

ويتحدث المفكر عن مظاهر العمل النضالي وما يتوجب على المقهورين فعله وتجنبه، ويشدد مرةً أخرى على ضرورة العمل الجماعي المشترك ووجود الثقة والحوار مع الجماهير في نفوس المعتنقين لقضايا المقهورين. ويثبُت الكاتب على حقيقة وواقع أن المقهورين يجب إشراكهم في العملية النضالية لأنهم هم الطرف الأساسي في المعادلة، ولا يتوجب ممارسة نفس أسلوب القاهرين معهم في تحريرهم من واقع حالهم، وكل ذلك يتم بالعمل وليس بالشعارات وبإستخدام الطريقة التعليمية كما يعلم المعلمون التلاميذ. وبهذا ينتهي الفصل الأول من الكتاب وهو التمهيد الذي يقدم للعملية التعليمية التي تعنى بالعملية النضالية التي يخوضها المقهورون.

يبدأ المفكر فصله الثاني من هذاالكتاب بهجوم شديد اللهجة على إحدى طرق التعليم بشكل عام، ألا وهي طريقة التعليم التلقيني والتي تعتمد على الحفظ والتذكر مما تؤدي إلى تعطيل العقل الذي يفقد فرص الإبداع والتطوير. وهذه الطريقة تصاعد الهجوم عليها مؤخراً في بلادنا العربية في السنوات الماضية القريبة فقط وأصبح المتعلمون يطالبون بطرق أفضل





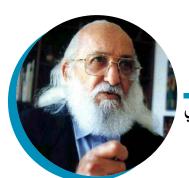
پاولو فريري



وأكثر فعالية لا تهمل العقل وتعنى بتطويره وتنشيطه. ويستمر الباحث في مهاجمة هذه الطريقة التعليمية وذكر سلبياتها والتنبؤ بمصيرها على يد الطلاب أنفسهم. ويصبغ هذه العلاقة القائمة بين الطالب والمعلم في المدرسة أو في أي مكان تعليمي على العلاقة بين المقهورين الثائرين والقيادة الثورية التي يتوجب عليها تجنب هذا التناقض الذي يجعل القيادة أو المعلم مودعاً ومنشئاً ومدجناً.

ويرى المفكر فريري أن هذا النوع من التعليم والمعتمد على صب المعرفة في عقل التلميذ على أساس أنها المعرفة الحقيقية، يعني تأقلم التلميذ، والتأقلم هو الذي يخدم بدوره القاهرين المسيطرين لأنه يعمل على تحييد العقول عن التفكير. ويقارن الباحث فيما بعد بين أسلوب الحياة النمطي وأسلوب الحياة المعتمد تجنب تحويلها إلى شكلها الميكانيكي الآلي القاتل للخبرات والإبداع. وما يبرع القاهرون في فعله من إستخدام كافة الأساليب للإستمرار في السيطرة على غيرهم. ويتحدث بعد ذلك بإيجاز للوصول إلى نتيجة مفادها أن التعليم يجب أن يتم بالحوار لا بالبيانات والإيداع (والمقصود بالإيداع هو إدخال المعلومات إلى عقول المتعلمين على أنها هي فقط المعرفة الحقيقية وبلا أي شك)، التعليم الذي يعتمد على المادة الحوارية بين الطالب والمدرس اللذان يصبح كلاهما في هذه الحالة مدرس وطالب في نفس الوقت. ويبقى الباحث مستمراً في إنتقاد التعليم البنكي وذكر سلبياته ومقارنته مع منهج طرح المشكلات والحوار حولها والذي يخلق نقاداً ومفكرين لا طلبة مدجنين، فيحدد لهم نقطة البداية التي تكمن في داخلهم فعلاً فالحكمة تقول بنفسك فابدأ، ومن هنا يبدأ الإصلاح. ويستمر الكاتب في التنظير لمنهج طرح المشكلات والقائم على التساؤل من أجل تطوير الناس لتحقيق إنسانيتهم، وهذا هو النظام الثوري الذي لا يستطيع القاهرون إستخدامه، لأنهم يستخدمون الأنظمة الحاكمة التي لا تسمح بالتساؤل والفضول.

ويلاحظ القارئ بعد قراءة كل ما سبق وما يلي ذلك أن تعليم المقهورين لا يقتصر أبداً على التعليم المدرسي القائم بين الطالب والمعلم، وإنما يشمل كل ظاهرة وكل موضوع وكل مجال يشكل علاقة بين إثنين يتبادلان فيه المعرفة من أجل التغيير والوصول إلى واقع أفضل تتحقق فيه الكرامة الإنسانية.





پاولو فريري

أما في الفصل الثالث من هذا الكتاب فيتحدث فيه الكاتب عن التعليم الحواري، والذي بالمناسبة تم تناوله (موضوع التعليم الحواري) في واحدة من مجموعة محاضرات في ملتقى همم الثقافي (في فلسطين) والمنعقدة حول هذا الكتاب لمناقشته والخروج بأفكار مفيدة من أجل التغيير. ويبدأ الكاتب بتعريف الحوار والنقاش وتبادل الكلمات ذات الرؤية الصادقة وذات الفعل، والتي من خلالها يحيى الوجود الإنساني، وهذا الموضوع هو عكس الصمت الذي لا يمكن للناس العيش فيه، فالحوار هو الوسيلة لبداية التغيير، ولكل إنسان الحق في الحوار وقول كلمته. بل ويشدد الباحث على أن الحوار يجب أن يتم تبادله من الجميع وليس من فرد واحد أو جماعة محددة، ذلك أن الحوار عمل إبداعي.

ويتحدث الكاتب عن متطلبات الحوار التي تؤدي إلى عمله بشكله الصحيح وتأديته لوظيفته في مواجهة المشاكل، وهذه المتطلبات هي الإحترام المتبادل بين المحاورين وإختلاف أفكارهم، بالإضافة إلى التواضع لأن عدم التواضع والتكبر يؤدي إلى رفض أفكار الآخر ونبذها، والإبقاء على الأفكار الموجودة مسبقاً لدى الطرف المحاور فقط، وإذا كانت هذه الأفكار خاطئة فبالتالي لا يمكن للحوار أن يأخذنا للطريق الصحيح، بالإضافة إلى الثقة المتبادلة التي تهدف إلى تقبل الطرف الآخر ومحاورته بجدية. ثم الأمل والذي من خلاله نحارب اليأس ونواجه العالم بتحدياته ونسعى للأفضل ومن ثم نحققه، فاليأس والإنتظار لا يحققان شيئاً.

ويلفت الكاتب نظر القارئ إلى معلومة مهمة والتي تتمثل في أن الحوار يتطلب التفكير بشكل صحيح ويوضح ملامحه وخصائصه في كتابه هذا، وفي نفس الوقت فإن الحوار نفسه يولد التفكير الخلاق. ويستنتج الكاتب بعد كل هذا الكلام أن الحوار التعليمي الذي يقوم بحل المشكلات أفضل من منهج التعليم البنكي القائم على إيداع المعلومات المحددة في عقول الطلاب فقط. ويعود المفكر من جديد لتحذير القادة الثوريين من الوقوع في فخ التعليم البنكي خلال نضالهم مع الجماهير للوصول إلى تفهم واقعهم والعالم من حولهم، بل إستخدام الحوار هو الذي يوصلهم إلى ممارسة وجودهم الإنساني الحق. ويبين لنا أن التعليم يجب أن لا يتجاهل مواقف الناس والمتعلمين من العالم، فهو أصلاً حواري ومبني على تبادل الآراء، بل ويجب أيضاً أن يقوم الحوار على لغة مفهومة للناس وتعتمل بفكرهم.

ثم ينتقل المفكر إلى موضوع الأفكار وخاصةً الأفكار الموضوعية، بخصائصها التي تؤدي إلى التغيير المطلوب، وخصوصاً الفكرة المولدة (الأفكار الوليدة) والتي يمكن تمييزها عن غيرها من الأفكار من خلال الخبرة في تبادل النقد. ويقارن الكاتب بين حياة الحيوان وحياة الإنسان في مثال من شأنه توضيح موضوع الفرق بين نظرة الحيوان للعالم (لا يملك الحيوان نظرة للعالم بل ينساق لغرائزه) وبين نظرة الإنسان للعالم والتي تجعله يفعمه بطاقاته المبدعة.





پاولو فريري

وينهي الكاتب مقارنته بين الإنسان والحيوان وطبيعة عملهما في الحياة والطبيعة، وينتقل للتصورات المختلفة التي يكونها الناس عن العالم، والتي بإختلافها قد تشكل تناقضات في كيفية رؤية كل فرد للعالم، والتصورات هي التي تعطي العالم قيمته التصورية وتهدف في النهاية لتحقيق حرية الإنسان، ويتم فهم هذا الموضوع بشكل أفضل بمطالعة الصفحة (76) وما بعدها من هذا الكتاب.

ويعطي الكاتب بكلامه عن الأفكار الوليدة تعريفاً ملفتاً للتخلف والدول النامية، واعتبر التخلف هو العقبة الأكبر التي تحد من التصورات التي يمكنها تحقيق التقدم لهذه الدول المتخلفة واللحاق بالدول المتمدينة. وبهذا يمكننا القول بأن الكاتب يتحدث بشكل عام عن العقبات التي تهنع الناس من الخروج بمجتمعهم من واقعه الحالي. ثم يصف الكاتب طريقة أو منهج طرح المشكلات وإيجاد التصورات للخروج بالمجتمع من واقعه القهري، وتبدأ هذه الطريقة بما يصفه الباحث ب (وصف الموقف) وتمر العملية بخطوات أخرى كالتجسيد والتجريد والتجزيء والكل والعودة للتجزيء وهكذا. وينفر في نهاية الفكرة من (نظرية الصمت) والتي تعني الموت في مواجهة التحديات. ويكمل الكاتب حديثه عن التصورات التي يكونها الناس عن المجتمع ووضعه الحالي، حيث أن هذه التصورات هي كما قلنا سابقاً التي تساعد في تغيير الواقع البنكي للمجتمع إلى واقع قائم على المعرفة الحقة. وبذلك يتكلم عن العلاقة التفاعلية بين الناس والتصورات التي يكونوها عن الواقع والمجتمع. ويتحدث الكاتب عن من يدرسون التغيير وخصائصهم وماذا يجب عليهم فعله وما التي يجب تجنبه، وطريقة تفاعلهم مع بعضهم البعض.

تعنادا لمقه گورین باداد فرایری باداد فرایری دیشته کشته د الکتوز فیشند و زعوض النتایش دارالمست

يدلل الكاتب فيما بعد على أن الوعي بالوضعية الإنسانية هو السبيل التغيير حيث أنه يكون وعي بالوجود الإنساني وبالتالي البدء في نقده من أجل التحسين. ويتناول أسلوب طرح المشكلات بمثال يوضح آلية عمله من خلال عمل محاكاة له على مجتمع ذو نسبة أمية عالية، ويوضح فيه ما يجب على الدارسين في هذه الحالة تطبيقه، مما يؤدي بهم إلى المدخل الحقيقي لهذا الواقع لكشفه، وكل هذا يؤدي في النهاية إلى تكوين التصور الشامل، وهو المطلوب. وبعد ذكر عناوين المواضيع التي يجب على الباحثين اتباعها يسترسل فريري لذكر نتائج هذا النهج، النهج الذي يبدأ بالتناقضات ودراستها، ويؤدي إلى تجاوز الإمكانات غير المجربة، وبالتالي ومن خلال هذا النهج نتجنب العمل الذي يأتي في شكل قرارات من فوق. كما يذكر الكاتب مواصفات وميزات العمل الذي يقوم فرارات من فوق. كما يذكر الكاتب مواصفات وميزات العمل الذي يقوم به الباحثون على المجموعة البشرية المختارة.







پاولو فريري

ثم يورد الكاتب أفكاراً ويعطي تلميحات وأفكار أخرى عن الكيفية التي يجب من خلالها التعامل مع المشاركين في البرنامج التعليمي، والذي يجعل الجماعة ينتقلون من التصورات الفرعية والأساسية إلى التصور الشمولي وبالتالي مزيد من الفاعلية. ويستمر بالحديث عن ملامح هذه العملية عندما يتم تطبيقها على المجموعة البشرية المذكورة سابقاً، والتي أيضاً تكشف عن تصورات جديدة لم تكن معروفة مسبقاً.

يشدد الباحث باولو فريري فيما بعد على ضرورة إستخدام الأسلوب الذي يستثير وعي الناس بأوضاعهم ويولد عندهم الإحساس بتغييرها. وينتقل الكاتب إلى مرحلة جديدة من عملية وضع المواضيع التعليمية، حيث تشمل هذه المرحلة عمليات تحليل البيانات والمحتويات المجمعة مسبقاً على يد الباحثين، من أجل وضع وتصنيف الموضوعات المشمولة، ونقدها وتعديلها والإضافة عليها. ويقصد بذلك هنا كيفية التعامل مع المواضيع التعليمية التي يتم وضعها من قبل المتخصصين. ويستمر في تفصيل المرحلة التالية والتي تشمل تحليل الموضوعات من أجل إختيار الطريقة الملائمة لعرضها وتقديمها للمتعلمين، وهي الطريقة التي تتناسب مع المتعلمين وإمكاناتهم التعليمية ومستوياتهم الفكرية.

ويسترسل الكاتب في حديث تفصيلي (قد يعتبره البعض تفصيل غير لازم ويأتي سابقاً لوقته)، يوضح فيه إرشادات للقيام بإحدى العمليات المتعلقة بإعداد المواضيع التعليمية قيد الدراسة. ثم تبدأ مرحلة تقديم ما تم تحضيره من مواضيع وبرامج تعليمية للناس أو للمتعلمين، ولعل أهم ما تقدمه هذه المرحلة هو عكس مدى وعي المتعلمين بواقعهم. ويتحدث الكاتب عن محور هذه النوع من العمليات التعليمية ألا وهو المناقشة، فمن خلال المناقشة تعرض المشكلات ويتمم تقييمها ومناقشتها حسب أولوية كل منها، لذلك فإن الحوار في البرامج التعليمية هو الأساس الذي مكن المقهورين من التأثير بصورة إيجابية في العملية التعليمية، ولعل هذه الطريقة هي المتبعة في ملتقى همم الثقافي في فلسطين، والذي جعل هذا الكتاب أول موضوع تتم مناقشته وتقييمه.







پاولو فريري

يبدأ الفصل الرابع والأهم في هذا الكتاب، بالحديث والتأكيد على الإستمرار في ذكر والإشارة إلى ما تم توضيحه في الفصول السابقة، ويوضح بعض الشروط والإعتبارات الخاصة بالعمل الثوري والقائمين عليه. ويشدد فريري كذلك على ضرورة الحفاظ على الصبغة الحقيقية للثورة، ألا وهي إشراك الجميع في تحديد ملامح ومسار الثورة، كلا القادة والثوريين. فلا يمكن للقيادة تجاهل آراء الثوريين والتخلي عن الصفة الجدلية للحوار، وإلا فسيصبحون قاهرين، أو مضللون أسرى لرؤيتهم المذهبية الضيقة. فبالتالي يتوجب على المقهورين الثائرين عدم الوقوع في وهم تمكنهم من السلطة في الوقت الذي جردوهم قادتهم منها، ولذلك فإن القادة يتوجب عليهم تجنيب المقهورين الوقوع في إزدواجية تقع بين الإنتقام والتحرير. ويذكر أهمية الحوار مع الناس للثورة، من أجل إكتساب الشرعية. فالحوار سمة من سمات المقهورين الثوريين التي تمكنهم من تحقيق وجودهم الإنساني. ولا ينبغي على البعض تقويض صفة الحوار لأن هذا العمل هو من صفة القاهرين. ثم يعود الكاتب ليذكرنا بالتشابه أو حتى بالوحدة بين صورتي القائد والمقهور، والطالب والأستاذ، فكلا الصنفين تربطهم علاقة حوارية جدلية.







ياولو فريرى

أما المقارنة التالية فهي بين طريقة تفكير القاهرين (تفكير السادة) التي تهدف إلى السيطرة، وتفكير الثوريين والقادة الثوريين إن لم ينحازوا إلى المقهورين فإن الثوريين الذي يتركز محوره في تحرير الناس وليس في إحكام السيطرة. فالقادة الثوريين إن لم ينحازوا إلى المقهورين فإن ثورتهم لن تكون ثورة حقيقية، وهذا على عكس الصفوة المتسلطة التي تتغذى على قهر المقهورين.

والمقهورون يتساعدون ويتشاركون في عملية التحرير لأنها عملية جماعية، القيادة الثورية والمقودين جنباً إلى جنب، فما تقوم به القيادة الثورية هو ما تعجز عن عمله الصفوة المتسلطة، فبالتأكيد لن تكون أعمالها بنية مساعدة المقهورين وتحريرهم. فما تقوم به الصفوة المتسلطة وبإستخدام مختلف الأدوات، في نفس الوقت يقوم القادة الثوريين بعمل عكس ذلك بإستخدام نفس الأدوات، ويعد العلم والتكنولوجيا إحدى هذه الأدوات. ويذكر بعض الصفات اللاإنسانية التي يتصف بها الأفراد الذين يحكمون على الآخرين بالجهل ويصادر حقهم في إصدار آرائهم، ويحتفظ بهذا الحق لنفسه فقط، فأمثال هذا الفرد لا يمكهنم الحوار مع الآخرين. على عكس القائد الثوري الذي يحكم على الناس بالجهل ويلزمهم برؤيته الثورية مع أنه كما يقول الكاتب، يمتلك رؤية ثورية تفوق رؤية الجماهير إلا أنه من واجب القادة الثورين تخصيب معرفة الناس وجعلها تزدهر من خلال الحوار. ويحافظ الباحث فيما بعد على الشرط الأساسي للثورة لكي يبقى العمل ثورياً ويحقق حرية الناس بعد تجربتهم المتصلة في البحث عنها، فالحوار بحسب مفهومه يحافظ على مسار الثورة الطبيعي، وهو عامل مهم لإستعادة إنسانية الإنسان، وبالتالي فإن العملية الثورية تعليمية وتتطلب الثقة بالناس (المقهورين)، ويصل إليها الناس من خلال طريق مفتوحة خالية من العراقيل.

وبعد كل الشروحات السابقة يستهل الباحث فريري عرضاً لطرق النظريات العمل الثوري الحواري واللاحواري ونبدأ أولاً بنظرية العمل اللاحواري:

يتطرق باولو لأول عمل لاحواري ألا وهو الغزو، الغزو القائم على الإستلاب وفرض أهداف الغازي بتحويل المغزو إلى مجرد شيء أو جثة هامدة، وهذه نتيجة حتمية للعمل اللاحواري وعلى عكس الحوار الذي يمكن الإنسان من ممارسة كينونته، فالقهر يتطلب ضرورة اللاحوار من أجل المحافظة على نفسه، وبدلاً من ذلك يوهم المقهورين بأن لديهم القدرة على أن يكونوا كما يريدون إلا أن الواقع الفعلي يمنع الكثيرين من الوصول لأهدافهم لما هم فيه من تضليل وخداع، ويوضح الكاتب هذه الفكرة بالتفصيل ضمن الصفحتين (103)، (104) من هذا الكتاب.

ويصف كذلك الكثير من الوسائل التي يستخدمها القاهرون من أجل تدجين تفكير المقهورين وإستمرار إيهامهم. وينهي الكاتب حديثه عن الغزو بالتوأمة بين القهر واللاحوار، فغزو القلوب والعقول يحقق اللاحوار، وبالتالي يساعد الصفوة المتسلطة في إستمرارها في السيطرة والقهر.





پاولو فريري

أما العمل القهري الثاني فهو العمل على قاعدة فرق تسد

فالقاعدة واضحة وجوهرها الإبقاء على ضعف الأغلبية المقهورة، وتمكين الأقلية المتسلطة من الإستمرار في فرض سيطرتها بسبب الفجوات التي تفصل بين تفكيرهم المشترك. ويذكر بعض المجالات التي يحقق القاهرون من خلالها تعطيل قدرات المقهورين، مثل حجب الناس عن رؤية الواقع بصورته الشاملة في المجال الثقافي، وتقسيم المجتمع إلى طبقات ومجتمعات محلية تبقي على الناس متفرقين حتى لا يدركوا مشاكلهم الكبرى. بل ويتعدى ذلك إلى المطالبة الدائمة للطبقة القاهرة في المجتمع إلى إلغاء التمييز الطبقي حتى لا يميزوا أنفسهم كطبقة قاهرة. بل وأيضاً تدخلها في العمل النقابي من خلال تأييد البعض واحتضانهم، ومجازاة بعضهم الآخر، كل ذلك حسب المصالح، وما يساعدها في الحفاظ على وضعيتها.

ويشدد الكاتب على ضرورة الوحدة من أجل محاربة القهر، فتفرد المقهورين يساعد على وقوعهم فريسة للإستغلال والسيطرة، ولذلك فإن الخلاص يكمن في التوحد والعمل مع الآخرين. ويدلل الباحث على أن التاريخ سيكشف مكر القاهرين وكرمهم الزائف في محاولة منهم لإيجاد سلامهم الداخلي، فالتاريخ يرجع الأبطال إلى مكانتهم الحقيقية ويضرب مثلاً على ذلك من أحداث الإستقلال البرازيلي من الإحتلال البرتغالي.

أما الطريقة الثالثة في كبت المقهورين، فهي الإستغلال: لا يوضح هنا الباحث ما المقصود بعملية الإستغلال بشكل واضح للقارئ، مع أنه قد يذكر بعض التلميحات هنا وهناك، ولكنه يبقى غامضاً في ما تستغله الطبقة القاهرة بالضبط، وقد يقصد بذلك إستغلال ضعف المقهورين من خلال بعض المواضيع الشائعة. ويحدد الباحث فريري طريقة محاربة الإستغلال عن طريق الوعي الثوري بالمشكلات ونقدها. ثم يذكر بعد ذلك بعض أساليب الإستغلال التي تنتهجها الطبقة المتسلطة كالحث على نزعة النجاح الفردي ومحاربة الحوار بين الجماهير والقادة الثوريين، ويوضح الإزدواجية التي قد يقع في فخها القادة الثوريون. ويبين عن طريق مثال كيف تعمل الصفوة الرجعية بأقسى أساليبها ضد الأنظمة اليسارية الثورية الواصلة للسلطة. وهذا هو ما تعمل عليه الصفوة المتسلطة من أي قائد أو نظام يرفض أن يكون وسيطاً بينها وبين المقهورين (إزدواجياً). أما في حال قيامه ببعض المشروعات التي تساهم في تقسيم الناس، وتحرفهم عن التفكير في مشكلاتهم الحقيقية فتكون سنداً له حتى بوجود مشكلات مؤقتة بينهما.

أما الخاصية الرابعة التي تخص نظرية العمل اللاحواري فتتلخص في الغزو الثقافي، ومن معناه واضح، ويهدف إلى فرض تصور خاص للعالم على جماعة المخضعين من أجل إضاعة أصالتها، ويوضح الكاتب الطريقة التي يتم من خلالها غزو المقهورين والسيطرة عليهم. ويطلب من المقهورين نزع أنفسهم بعيداً عن القاهرين لإدراك التناقض القائم بينهم،

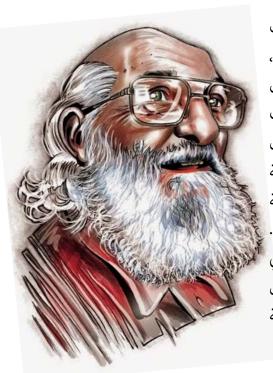




پاولو فريري

وهذا هو النضال المطلوب. ويوضح الباحث آثار هذا النتاج الطبيعي للمجتمع القهري المنعكسة على الواقع الأسري والتعليمي، وما ينتج عنه من تغذية مستمرة للإحساس القهري. وهكذا يشب الأطفال ويصبحون رجالاً مطبقين لنفس الأساليب السلطوية التي مورست عليهم من آبائهم وفي المدارس، وكلنا غلك صورة واضحة جداً عن أوضاع المدارس في مجتمعاتنا. ويعقد فريري بأن هذه الظاهرة هي التي تساهم في إبتعاد معظم المتخصصين عن الأسلوب الحواري.

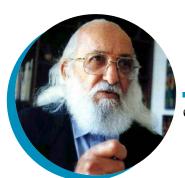
يفرق الكاتب فيما بعد بين المتخصصين الذين ينتهجون اللاحوار كطريقة عمل، والمتخصصين الآخرين الذين يدركون أسلوبهم القهري ويتراجعوا ويحاولوا إنهاء إزدواجيتهم، ويصبحوا رفاق وشركاء في تحقيق الحرية. ويشير الكاتب إلى نقطة هامة في معرض شرحه عن الغزو الثقافي، ألا وهي إدراك المشاركين في البحث عن الحقيقة أنهم يواجهون موقفاً حقيقياً كمشكلة يجب التعامل معها. ثم يذكر مثالاً على ذلك في إحدى مناطق نيويورك، يوضح من خلاله بعض ملامح المخاض الذي يتكون بين مد وجزر الثورة والحوار، والقهر واللاحوار. ولا يأتي بعد ذلك بجديد بل يكرر التدليل على أهمية الثورة الثقافية كجزء من الثورة الإنسانية والتي يجب أن تعمم على كل الناس ولا تقتصر على التقنيين والعلميين. ذلك الجزء من الثورة والذي يحول دون عودة الظروف الملائمة لإستعادة الوضع القهري، ويمكن من تحقيق إجراءات ذلك الجزء من الثورة والذي يحول دون عودة الإتجاهات البيروقراطية، ويضمن مشاركة الشعب والقادة في السلطة القهرية، ويحافظ على حماية الثورة ضد الإتجاهات البيروقراطية، ويضمن مشاركة الشعب والقادة في السلطة الناقدة. وعندما نقرأ الفقرة الأخيرة من الصفحة (119) تخطر على بالنا فكرة أن هذا الكتاب وهذا الكلام ينطبق على مجتمعاتنا العربية حصراً دون غيرها.



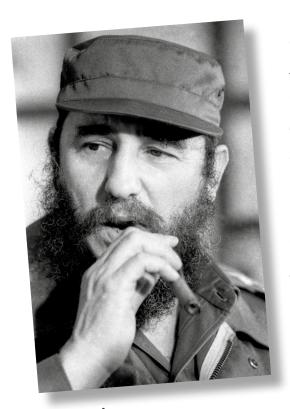
يصف الكاتب تحرر الناس من العبودية والقهر بالتقدم، ويشترط لذلك التقدم أن يتم التخلص من الغزو، وترك التبعية للمجتمعات الغازية، وتحديد مصائرهم بنفسهم، والإستقلال في القرارات. وينكر الكاتب أن تكون التحديثات البسيطة الحاصلة في المجتمعات المغزوة، لصالح هذه المجتمعات وإنما لصالح المجتمعات الغازية فقط. وتغطي المجتمعات الغازية الإستغلال والإمتلاك والغزو بقناع الإصلاحات المجردة التي توهم الناس ببدء عملية الإصلاح. ويوضح الكاتب بعض طرق تشكل القيادات الثورية، وكيفية مساعدة المقهورين على الخروج من نفوسهم ويعون فيها حقيقة القهر. ويقارن بين حالتين أولهما الإمتثال لمجتمع القهر، والثانية التي تمثل الوعي بالقهر والبدء بالنضال من أجل تجاوز التناقضات. وثم يستمر بذكر نتائج كل حالة وأثرها على المقهورين. ويستمر كذلك بالتشديد على ضرورة المشاركة في التحرر من القهر من كل أطراف الشعب قادةً وجماهير.







پاولو فريري



ويضرب فريري مثالاً واقعياً على مقاومة القهر والتحرر منه كما حصل مع فيديل كاسترو والشعب الكوبي، إلا أن حصول تناقض بين تفكير القادة الثوريين والشعب قد يؤدي إلى إتخاذ هؤلاء القادة بعض أساليب القاهرين وتطبيقها على الشعب من أجل فرض وجهات نظرهم وبالتالي فإن إتباع هذه الطريق سيفشلهم في تحقيق الثورة او سيحرمهم من النجاح الحقيقي.. ومثالاً على ذلك ما عمله ياسر عرفات في الثورة الفلسطينية ضد الإحتلال الإسرائيلي. والأصل أن من واجب هؤلاء القادة إيجاد طرق مناسبة للوصول إلى الناس والمقهورين وتعريفهم بظروف القهر المحيطة بهم. ويذكر الكاتب مثلاً آخر يوضح الفرق في التعامل مع المقهورين بين كل من الثوريين والقاهرين كل حسب أهدافه.

أما العناصر التي تكون نظرية الحوار الثقافي فيمكن إجمالها في الآتي:

التعاون: فتغيير العالم يتطلب مشاركة الجميع، ولا يتحدد ذلك بوجود مسيطر وخاضع، ولا يعني ذلك أن يقوم القادة الثوريون بإمتلاك الناس وتسييرهم، ولكن المطلوب هو التعاون المشتك. بذكر الخصائص والسمات المتعلقة بهذا السبيل. فالتكاتف هو الذي يساعد على كشف حقيقة الواقع، وبالتالي بنبني العمل التحرري على الثقة المتبادلة بين القيادة الثورية وجمهور المقهورين. ولكن الكاتب يتحدث فيما بعد عن فكرة إختلاف الواقع مع شرط تبادل الثقة فينبذها بعض القادة الثوريون، ويبقون على إحتمالات الخيانة وتعرضهم إلى النبذ على يد المقهورين لخوفهم من القاهر المستبطن، ولكنه سرعان ما يرد على نفسه بتأكيد نفس القادة الثوريين على ضرورة التلاحم مع الناس من أجل إنجاح مشاركتهم في العملية الثورية، وبهذا يؤكد فريري على ضرورة الحفاظ على الإتصال (المحقق للتعاون) بين الثائرين وقادتهم.

الوحدة من أجل التغيير: كما نفهم من العنوان، فيوضح الباحث آثار الوحدة على مصير الثوريين وقادتهم، وكيف تستفيد الصفوة المتسلطة من ضعف الوحدة بين الجماهير، من أجل تطبيق مبدأ فرق تسد الذي تكلمنا عنه سابقاً. ويتكلم بعد ذلك عن أثر من آثار السيطرة ودورها في إيهام الإنسان بواقعه. ويتكلم الكاتب عن ملامح التفرقة الممارسة ضد جمهور المقهورين، ومن ثم ملامح كشف الناس لكينونتهم، وتحديد دورهم في تغيير العالم وواقعهم، أي مرحلة إنتقالهم من القهر إلى مرحلة الإحساس بقيمتهم الحقيقية كبشر لا كأشياء. وبذلك فإن الجماهير مطلوب منها أن تتحد من أجل مقاومة عالم القهر. وفي النهاية يوضح الكاتب الفرق بين سلطة القهر في المدينة وسلطته في القرية.







پاولو فريري

التنظيم: يقصد بالتنظيم والذي يشكل العنصر الثالث من نظرية العمل الحواري، أن يقوم القادة الثوريون بتعريف الناس على العالم، دون أن يفرضوا نظرتهم الخاصة على الناس لأن ذلك يصبح من مظاهر القهر. ويكمل الباحث بالتدليل على أن الحرية يجب حمايتها بالسلطة التي تمثل أحد أشكال التنظيم وتكفله، وهذا لا يعني تناقض بين السلطة والحرية، فالسلطة تختلف عن التسلط. وعلى القارئ العزيز أن يتمعن في قراءة هذا الجزء من الكتاب بسبب تعقيده وبعده عن بساطة السرد.

أما العنصر الرابع والأخير من عملية العمل الحواري الثوري فهو التآلف الثقافي،

والذي يقصد به الطريقة التي يتم من خلالها إستخدام المجال الثقافي في التنظيم الإجتماعي. بما يحدد ويخدم أهداف التحرير، فالثورة الثقافية هي جزء قائم بذاته من الثورة الحقيقية. ثم يوضح الكاتب سياسة تحديد المواضيع الثقافية والتي تشكل نقطة بدء عملية التآلف الثقافي. ويبين آثار وضرورة المشاركة الثقافية (كالمشاركة في كل المجالات الثورية الأخرى) بين الجمهور والقادة الثوريين في عملية التطور الثقافي. ولتحقيق التآلف الثقافي فإنه ينبغي على القادة إدخال نظرة الناس للعالم ضمن حساباتهم، وهكذا يعمل التآلف الثقافي على إلغاء التناقضات بين رؤية كل من القادة الثوريين والجماهير الثائرة للعالم. ويدلل الكاتب في نهاية كتابه على ضرورة تشارك القادة والمقهورين في تطوير نظريات العمل التحرري، وبهذا يكونون قادرين على تغيير العالم.



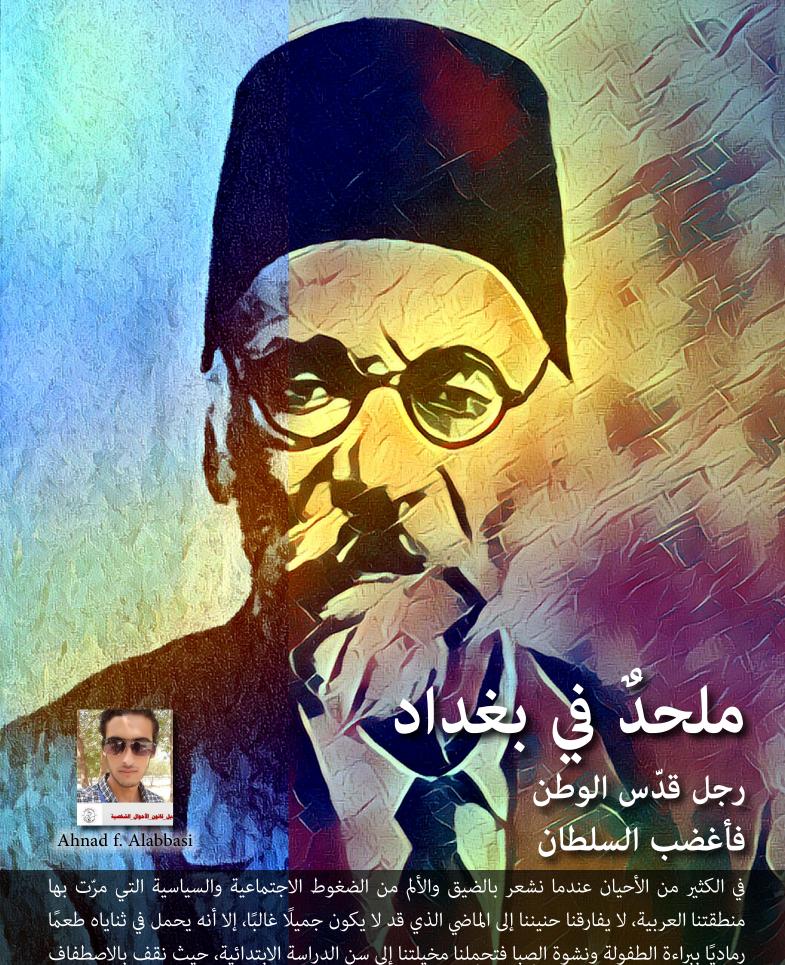
وبهذا ينتهي تلخيص كتاب تعليم المقهورين، لنلقاكم مع تلخيص آخر لكتاب آخر مفيد ومهم في الطبعات القادمة من المجلة، وشكراً للجميع على القراءة.

أرشيف مدونة أرض الرمال

تحية لـ بن كريشان

http://www.thelandofsands.blogspot.com





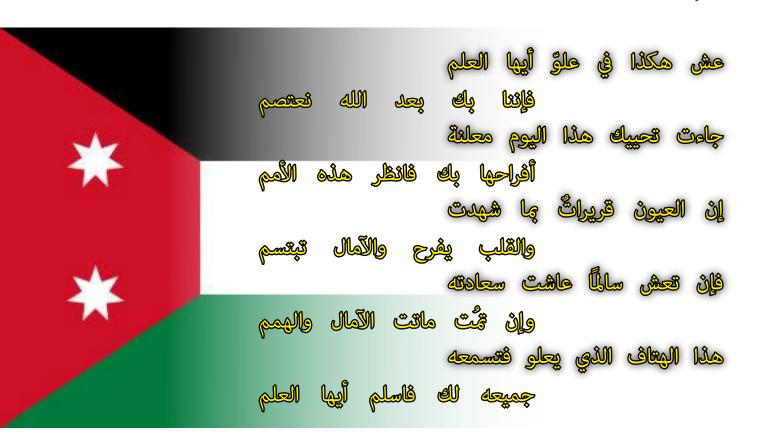
رماديًا ببراءة الطفولة ونشوة الصِبا فتحمِلنا مخيلتنا إلى سن الدراسة الابتدائية، حيث نقف بالاصطفاف الصباحى رافعين العلم المزدان بلمعة سوداء في الأسفل وحمراء في الأعلى تتوسّطه ثلاثة أنجم زهراء تعبّر عن انسجام شعوبنا المصرية والعراقية والسورية. (1)

^{(1).} النجوم الثلاث في العلم العراقي (2008-1964) رمز الشعوب المتآخية (سوريا والعراق ومصر).



رغم أسوار الشوك التي زرعها طغاة السلطة في تلك البلدان، تهبُّ أحيانًا نسمةٌ خفيفةٌ تفردالعلم عرضًا، فتظهر لنا العبارة التي عكرت صفو الحياة في المنطقة، مكتوبةٌ بخط يد صدام حسين.. (2)

رغم ذلك كنا فرحين عندما نردد تحية العلم بأصواتٍ لو سمعها غيرنا لظن أنها تخرج من صدورٍ ملئها الرفاه ولم تدخلها ذرّة عزن لأن صيحتنا كانت من الأعماق، من أعماق شوقنا لهكذا وطن:



يرى بعض المؤرخين ممن عاصر الشاعر إن هذه الأبيات هي تحريفٌ لأبياتٍ أصليةٍ أكثر صرامةً قال فيها:(3)

عش هكذا في علوّ أيها العلم فإننا بك لا بالله نعتصم!

هذه أبيات شاعرِ قدّس الوطن لا الدين، فأغضب سلطان آل عثمان، ومن هذا الشاعر تبدأ قصتنا!

^{(2).} كُتبت عبارة (الله أكبر) على العلم العراقي أول مرة بخط يد صدام حسين، في الفترة بين (1991-2008).

^{(3).} على رأى ابن أخيه أمجد الزهاوي.

ملحد بغداد

ملحدٌ في بغداد: رجل قدّس الوطن فأغضب السلطان

من هو الزهاوي؟

جميل صدقي محمد فيضي بن الملا أحمد بابان الزهاوى. وُلد في بغداد عام 1863م وتوفي بها ونشأ كغيره من مفكري ذلك الزمان ميالًا للأدب والفلسفة كارهًا لتعليم (الملالي) الذي كان شائعًا في ذلك العصر، درس على يد أبيه وعلى يد علماء عصره، فقد أبدى منذ شبابة براعةً لا يستهان بها في علم العلوم اللغوية والاجتماعية، مما دفع دائرة المعارف العثمانية إلى تعيينه مدرّسًا في المدرسة السليمانية ببغداد عام 1885م، وهو شابٌ لم يتجاوز الثلاثين من العمر، ثم ما لبث أن عُيِّن عضوًا في مجلس المعارف عام 1887م، ثم مديرًا لمطبعة الولاية ومحرّرًا لجريدة الزوراء عام 1890م، وبعدها عُين عضوًا في محكمة استئناف بغداد عام 1892م، وسافر إلى إسطنبول عام 1896م، فأعجب برجالها ومفكريها، وبعد إعلان العمل بالدستور في عام 1908م، عُين أستاذًا للفلسفة الإسلامية في دار الفنون بإسطنبول ثم عاد لبغداد، وعُين أستاذًا في مدرسة الحقوق(كلية الحقوق/ جامعة بغداد حاليًا)، وعند تأسيس الحكومة العراقية برئاسة عبدالرحمن النقيب عُين بأمر من الملك فيصل الأول عضوًا في مجلس الأعيان (مجلس الشيوخ العراقي).

ومن كل هذا يتضح حجم الاحترام الذي كانت تكنّه له السلطة والمجتمع لما كان يحمله من فكرٍّ نيِّر ومنطقٍ متّقدٍ وفصاحةٍ لامعةٍ امتزجت كلها لتصنع ذلك الفيلسوف العملاق!





جميل صدقى الزهاوي فيلسوفًا:

شهِد عصر الزهاوي (1863-1936) تطوراتٍ وقفزاتٍ هائلةً على المشهد السياسي والاجتماعي وما انعكس عليه في المشهد الثقافي، ففي ذلك العصر بدأت الحركات الشعبوية وحركات التحرر العربي تصعد كالزبد على مياه بحرِ راكد، ونتيجةً لذلك شهد هذا العصر ظهور تحالفاتٍ على الصعيد الإقليمي، فميلُ العرب كان نحو الإنجليز، نتيجةً لتحالف هواشم الحجاز معهم ضد العثمانيين، وأدّى ذلك التحالف إلى عبورٍ حضاريٍّ وفلسفيٍّ كان من شأنه أن يعيد بناء المجتمع العربي نحو توجّهٍ أكثر شفافيةً، فدخلت أحدث الاكتشافات العلمية الساحة العربية على يد كبار مثقفيها في ذلك العصر، وما أن الساحة العراقية كانت محكومةً من الملالي ومراجع التقليد، (4) لذا ووجهت هذه الأفكار بمقاومةٍ شرسةٍ وصلت إلى صداماتِ دمويةِ واغتيالات.

كان للزهاوي النصيب الأكبر منها لاتساع آفاقه واطّلاعه على آخر التطورات على الصعيد العالمي، فقد عاصر داروين وكان يجاهر بإيمانه بنظرية التطور ويخالف آراء المجتمع العربي في وقته وينعتها بالجهل والتخلف، ونُسِبت إليه الزندقة في أواخر حياته لكثرة تفلسفه في العلوم، فكان يفرّغ ما عنده بكتابة المقالات تارةً، وبالشِعر تارةً أخرى فيقول:

> كَيفَ أَبدَت أُمُّ الحَياةِ نتاجا لست أُدرى وَلا الطّبيعة تَدرى بعد أن كانَ نطفةً أمشاجا

كَيفَ حازَ الإنسان حذقًا وَنُطقًا وكتب فيه طه حسين: «لم يكن الزهاوي شاعر العربية فحسب



نظم الكثير في الشعر التعليمي، ولعلّها كانت وسيلةً ليخلّد هذا الفيلسوف بها فِكره للأجيال القادمة، ليقول:

ولا شاعر العراق بل شاعر مصر وغيرها من الأقطار، لقد كان شاعر

العقل، وكان معرّي هذا العصر، ولكنه المعرّي الذي اتصل بأوروبا

يا بني البشر في كل ظلمة لابد من نور، وفي كل مجتمع مريضٍ لابد من فيلسوف!

وتسلح بالعلم».

ملحد بغداد

وأظرف ما نظمه قصيدته «سليل القرد»

التي نشرتها له «مجلة الرسالة» سنة 1936م قبل وفاته بقليل، وفيها يقول:

عاش في الغاب القرد دهرًا طويلا قبل أن يلقى للرقى سبيلا بشرًا فارتقى قليلًا قليلا هجر الغاب نجله والقبيلا وعليه الحياة عبئًا ثقيلا على أربع زمانًا طويلا يتقي الوحش ضاربًا أن يغولا لم يكن خوارًا ولا إجفيلا ولقد تُفضّل العقول العقولا لإنسان يحسن التخييلا أنه ظل حَبله موصولا جميل فكان قدرًا جميلا عرفوا تحريمًا ولا تحليلا وأرى أن للغدو أصيلا غير أني في خشية أن تدولا فيعود الإنسان قردًا كسولا كان الخلو خطبًا جليلا فسيمحون الموت حتى يزولا هو أرقى منهم وأهدى سبيلا ليس يبقى شيءٌ له مجهولا كبيرًا وساعدًا مفتولا أثيثًا تخاله إكليلا منه حسبتها قنديلا يعدل جبالها والسهولا جعلوا منها للسماء رسولا(5)

وُلد القرد قبل مليون عام أي شيء أله بالقرد حتى إنه لولا العقل كان ضعيفًا وعلى رجليه مشى بعد أن سار تخذ الصخر بعد نحت سلاحا إنه في لقائه للضواري إن عقل الإنسان خير سلاح يا له من تطور حوّل القرد ولقد فارق القبيلة إلا ولدته عروسة الغاب من قرد عاش أبناؤه دهورًا وما إن بعد فجر الإنسان كان غدو دول فوق الأرض ذات احتشام إننى أخشى للنشوء انقلابا وإذا ما خلا من الناس وجه الأرض وإذا ما بالعكس عاشوا وجدّوا وليأتي باسم (السوبرمان) نسل يتقصى كنه الطبيعة حتى وترى فوق المنكبين له رأسًا وعلى رأسه الكبير ترى شعـرًا وإذا ما أبصرت عند اللقاء العين وإذا ما تكاثروا حكموا الأرض أخضعوا أصناف الأشعة حتى





بخيالٍ خصبٍ وذِهنٍ مطّلعٍ يتخيل جميل صدقي مسيرة البشر التطورية وكيف انفصل عن سلفه المشترك، ثم قام بتشييد الحضارات وإقامة المدن حتى أنهكته الحروب والأمراض فعاد إلى ما كان عليه (قردًا كسولًا)،

لكنه يتوقع نهايةً أكثر (دراماتكية) للجنس البشري، فهو يؤمن بأن التطور سيصنع من الإنسان ذلك الكائن القوي (سوبرمان) بفكره المتعطش للمعرفة، ليتنبأ بأن التطور سيصنع منه شخصًا ذا رأسٍ كبيرٍ وشَعرٍ قليل، قصير القامه، لا يظل علمٌ إلا سلك طريقه ولا تظل معضلةٌ إلا حلها وما تظل بقعةٌ سالمةٌ من تفحصه وفضوله حتى يخضع الضوء وعتطيه عا لدية من معرفة:

أخضعوا أصناف الأشعة حتى جعلوا منها للسماء رسولا

فمن وجهة نظر أي شخصٍ مطلّعٍ على علم المستقبليات سيُسمّي الزهاوي بكلارك العصر، (6) لِما تنبأ به للمستقبل والذي يتوافق مع ما يراه العلماء الآن؛ ومن وجهة نظر العالم الفيلسوف يُرى الزهاوي على أنه أحد أعمدة التنوير العلمي في بلاد العرب، لكون العلوم والاكتشافات الأخيرة في عصره لم تكن واضحةً في عصره. داروين نشر نظريته قبل عشر سنواتٍ من مولد الزهاوي، وكانت تلقى معارضةً حتى داخل البيت الأوروبي فكيف بها داخل الديار الإسلامية!

لذا يقف الزهاوي موقف المجاهد مدافعًا عن الأفكار التي جعلت من عالمنا موجودًا.

كانت آراء الزهاوي تُحدِث ضجةً ما بين معارضٍ ومؤيد، ونرى ذلك برأيه بما عرف بسفور المرأة، حيث طالبها بترك الحجاب والتحرر منه وأسرف في مطالبته، ومن قصائده في هذا المجال:

أسفري فالحجاب يا ابنة فهر كل شيء إلى التجدد ماضٍ أسفري فالسفور للناس صبحٌ أسفري فالسفور فيه صلاحٌ زعموا أن في السفور انثلامًا

هو داءٌ في الاجتماع وخيم فلماذا يُقر هذا القديم؟ زاهرٌ والحجاب ليلٌ بهيمٌ للفريقين ثم نفعٌ عميمٌ كذبوا فالسفور طهرٌ سليمٌ

والقصيدة التي منها:

مزقي يا ابنة العراق الحجابا مزقيه أو أحرقيه بلا ريثٍ زعموا أن في السفور سقوطًا كذبوا فالسفور عنوان طهرٍ

وأسفري فالحياة تبغي انقلابا فقد كان حارساً كذابا في المهاوي وأن فيه خرابا ليس يلقى معرّةً وارتيابا



وقصيدته التي تدعوا المرأة لمشاركة الرجل في العمل وبناء العراق والتي يقول فيها:

في الغرب حيث كلا الجنسين يشتغل كلا القرينين معتز بصلحبه وكل جنس له نقصٌ بمفلوده أما العراق ففيه الأملر مختلف

لا يفْضل المرأة المقدامة الرجل عليه إن نال منه العجز يتكل أما الحياة فبالجنسين تكتمل فقد ألم بنصف الأمة الشليل

إنه قبل أكثر من ثمانين عامًا أطلق صيحته المدوية بتحرير المرأة، وأنه كان يعتقد إن قيد المرأة يكمن في الحجاب فلذلك سعى لتحرير المرأة من خلال خلعها لحجابها، وقد عارضه الشاعر المصري حافظ أبراهيم بآرائه حول السفور من خلال قصدته:



في الشرق علة ذلك الإخفاق أعددت شعبًا طيب الأعراق بالري أورق أيها إيراق شغلت مآثرهم مدى الآفاق بين الرجال يجلن في الأسواق يحذرن رقبته ولا من واق عن واجبات نواعس الأحداق كشؤون رب السيف والمزراق

من لي بتربية النساء فإنها الأم مدرسة إذا أعددتها الأم روض إن تعهده الحيا الأم أستاذ الأساتذة الألى أنا لا أقول دعوا النساء سوافرًا يدرجن حيث أردن لا من وازع يفعلن أفعال الرجال لواهيا في دورهن شؤونهن كثيرة

ويرى جميل صدقي الزهاوي أن هناك من يحمل علمًا وفهمًا، لكن ما الفائدة إذا استُخدِم هذا العلم والفهم في النفاق والمُماراة!؟ حيث يرى أيضًا أن هناك من يصون أخلاقــه أمام الناس خوفًا من الانتقاد فقط! و أنّ المُجتمع الخالي من النقد هو مجتمعٌ فاسدٌ أخلاقيًا، وعبّر عمّا سبق بهذه الأبيات الرائعة:

وهو في الوقتِ ذو نِفاقٍ مرائي خوفُ أصحابِها من النقـّـادِ عمَّ سوءُ الأخــــلاقِ أهلَ البلاد قد يحوزُ الإنسانُ علمًا وفَهْمًا رُبَّ أخلاقٍ صانَها من فسادٍ وإذا لم يكنْ هنالكَ نقدٌ



جميل صدقي ومعروف الرصافي:

في عصرنا هذا تنتشر المقاهي في كل المدن الصغيرة منها والكبيرة، لتكون مرتعًا للمتسكعين و(العطّالين)، أو للشباب المتنمّرين، إلا إنه قبل خمسين عامًا خلت اقترن اسم الأدب بالمقاهي، فقد كانت مرتعًا لكبار الأدباء والشعراء على امتداد القطر العربي، وخصوصًا مدينة السلام، بغداد، فازدهرت بها مقاهي موجودة ليومنا هذا أشهرها مقهى (الشاهبندر) ومقهى أم كلثوم ومقهى حسن العجمي، لكن وبجهة معزولة منها وسط أنقاضٍ من الإهمال ورطوبة مياه الصرف الصحي بفضل ذكرى علوش، يقف ذلك الهيكل الثقافي ليكون شاهدًا على حقبٍ ولّت من صدر عصر التنوير العربي، إنه مقهى الزهاوي التاريخي،

هذا المبنى الذي اعتاد عمالقة الأدب والعلوم في ذلك





الوقت ارتياده ليتساجلوا بمختلف الأغراض، فقد كان لكل شاعرٍ وأديبٍ ندُّ يعارضه بالشعر والفكر، وكان يعارض الزهاوي الشاعر الكبير معروف عبدالغني الرصافي،

فقد دبت عداوةٌ قادحةٌ بينهما يتخللها شيءٌ من الإعجاب والصحبة والطرفة، وقد دعا كلاهما إلى تحرير المرأة ونزع الحجاب.

ولكن كانت المنافسة والعداوة بينهما شديدةً،

حيث قال الرصافي أشياء كثيرةً في النيْل من الزهاوي، ولكن انتهت العداوة بالصلح بينهما قبل وفاتهما في جلسة صلح نظمها محمود صبحي الدفتري في داره في (الحيدرخانة)، وقد حضر الجلسة عبد العزيز الثعالبي وروفائيل بطي وفؤاد السمعاني والعلامة محمد بهجة الأثري والمحامي شاكر آل غصيبة.



ومن الطرائف التي تخللت هذه العداوة أنه جلس الشاعران الزهاوي والرصافي يأكلان ثريدًا فوقه دجاجةٌ محمرة، وبعد قليلٍ مالت الدجاجة ناحية الزهاوي، فقال: عرف الخير أهله فتقدم.

فقال الرصافي: كثر النبش تحته فتهدّم.

جميل صدقي الزهاوي والسلطة

نشأ الزهاوي في أسرةٍ مُحبةٍ للعلم والأدب، وظل في كنف والده مفتي بغداد حتى اشتد عوده، فأخذ بالترفع في المناصب المحكومية فصيّره مركزه الأدبي لعضوية مجلس المعارف ببغداد (أيام الحكم العثماني)، ومدير مطبعة الولاية، ومحررٌ للقسم العربي في جريدة (الزوراء) الرسمية، ثم عضوٌ في محكمة الاستئناف ببغداد، وعينته الدولة العثمانية واعظًا عامًا في اليمن وعضوًا في الجمعية الإصلاحية حيث مكث هناك تسعة أشهرٍ ثم عاد بعدها إلى الأستانة (إسطنبول) فنظم فيها قصائده التي ندد فيها بالاستبداد ومصادرة الحريات المشروعة وفضح الأساليب التي يعانيها الشعب والتي تتنافى مع طموحاته،

ولم تكن تلك القصائد المنشورة باسمه الصريح، بل كان ينشرها في الجرائد العربية في مصر بتوقيع مستعار، ونتيجةً لمواقفه المناهضة للسلطان عبد الحميد أمرت السلطات العثمانية بإخراجه من (الأستانة) وإبعاده إلى العراق.

وما أن استقر به المقام في مدينة بغداد حتى تقدم بطلبٍ ليعمل مدرسًا للقانون المدني في مدرسة الحقوق، ولم يلبث قليلًا حتى قامت ضجةٌ مفتعلةٌ ضده بسبب مقالٍ نشره في جريدة المؤيد المصرية طالب فيه بمنح المرأة حقوقها وانتشالها مما تعانيه من ظلم الرجل لها وتهميشها،

فقد قاد هذه الحملة والي بغداد (حسين ناظم باشا 1910م)، وحرّض علماء بغداد لإصدار الفتاوى ضد الزهاوي، فكان في مقدمة أولئك العلماء الشيخ سعيد النقشبندي حيث كتب رسالته الموسومة بالسيف البارق في عنق المارق، وتصدى له كاتبٌ آخر من مصر هو محمد حمدي النشار فألّف له رسالةً سمّاها: المرأة في الأحلام والسفور والحجاب، طبعها في مصر (سنة 1911م)؛ وقد غادر العراق إثر هذه الحملة إلى مصر ولم يعد إلى بغداد إلّا بعد تغيير الوالي العثماني، حيث عاد إليها أيام الوالي جمال باشا فأعاده الوالي الجديد إلى وظيفته الأصلية في مدرسة الحقوق، وانتُخِب نائبًا عن المنتفك (الناصرية حاليًا) في مجلس المبعوثان.

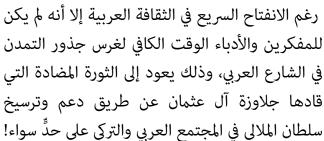
وعند إعلان الحرب العالمية الأولى واحتلال الإنجليز لبغداد 1917م اتهمته السلطات البريطانية بأنه في صف المناهضين لهم، فأرادوا نفيه إلى الهند ولكنه أبرز ورقةً يثبت فيها أنه يعود لجريدة المكلم المصرية والتي كانت مواكبةً للإنجليز فأفرجوا عنه ولم يمسّوه بأذًى، وفي عهد الملك فيصل الأول عُين عضوًا في مجلس الأعيان مدة أربع سنوات.



ومن الطرائف التي تعرّض لها إبان العهد العثماني، عندما تم تعينه عضوًا في البرلمان التركي عن لواء المنتفك (الناصرية)، فأثناء تداول موضوع غلات الأوقاف في اللجنة المالية التي كان عضوًا فيها تم طرح التصويت على توزيعها على الأئمة والمسافرين الذي يقرأون صحيح البخاري على متن البواخر العثمانية لكنه اعترض على ذلك قائلًا: «لكن السفن تسير بالبخار لا بالبخاري!» وأضاف: «فبدل توزيعها على من يقرأ البخاري، ابنوا بها المدارس والجامعات التي تُعلِّم الناس ميكانيكا البخار.»

سبّب له هذا الموقف مَتاعبًا كبيرةً من العثمانيين حيث انهال عليه أعضاء البرلمان بالضرب حتى أسالوا دمه، لكنه هرب بأعجوبة.⁽⁷⁾

جميل صدقي الوحيد



وما انعكس على ذلك من ضعفٍ في تكوين المفكرين والعداء الشديد لهم، وشأن الزهاوي شأنهم، إذ قضى آخر أيامه يداعب ورقةً بقلم، مواجهًا ألسنة عصره التى لا ترحم قائلًا:



«كنت في صباي أُسمّى (المجنون) لحركاتي غير المألوفة، وفي شبابي (الطائش) لنزعتي إلى الطرب، وفي كهولتي (الجريء) لمقاومتي الاستبداد، وفي شيخوختي (الزنديق) لمجاهرتي بآرائي الفلسفية.»

ليكملها بنشر البحوث الفلسفية والآراء الأدبية في الصحف السورية والمصرية التي وجد منها ملاذًا من سطوة مراجع الدين في العراق، فنظم في الوحدة مشبهًا نفسه بالحق الذي يسير وحيدًا في أزقة بغداد المهدمة ممقولته الشهيرة:

كل غريب للغريب نسيب

^{(7).} مذكرات سليمان فيضي من رواد النهضة العربية في العراق، دار الساقي، 1998.

ملحد بغداد



لقد كنت في درب ببغداد ماشيًا وقد أوشكت شمس النهار تغيب فصادفت شيخًا قد حنى الدهر ظهره له فوق مستن الطريق دبيب عليه ثياب رثة غير أنها نظاف فلم تدنس لهن جيوب تدل غضون في وسيع جبينه على أنه بين الشيوخ كئيب يسير الهوينى والجماهير خلفه يسبر الهوينى والجماهير خلفه يسبونه والشيخ ليس يجيب أحالوا عليه بالحصى يرجمونه وفي الرأس منه شجة وندوب

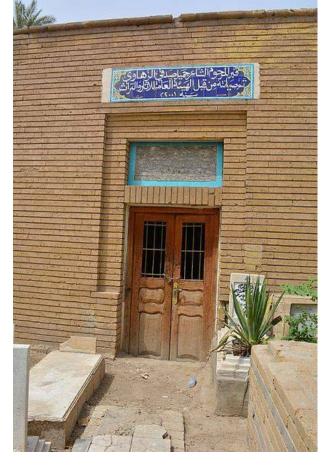
له وقفة يقوى بها ثم شهقة تذوب تكاد لها نفس الشفيق تذوب فتساءلت من هذا؟ فقال مجاوبًا

هو «الحق» جاء اليوم فهو غريب فجئت إليه ناصرًا ومسليًا

ودمعي لإشفاقي عليه صبيب

وقلت له: إنا غريبان ههنا

وكل غريب للغريب نسيب.



فقد عاش غريبًا حتى توفي في شباط 1936 وشُيِّع بمشهدٍ مهيبٍ ودُفِن في مقبرة الخيزران ولم يحضر جنازته خاصة أهله

فقد قال ابن أخيه، رئيس رابطة علماء العراق الشيخ أمجد الزهاوي: إني لأبغض عمي في الله!



معمل مرق الزهاوي وليواسا برهاوي الناسم الم يموذك عند سماعه الناسم الم يموذك عند سماعه المس خليفاً أن يقال له شعر المعمود العلم مفوظ لاناظم المعمود العلم المعمود المعمود العلم المعمود العلم المعمود العلم المعمود العلم المعمود ال

إرث الزهاوي

أخذ الزهاوي العلوم العقلية والنقلية على يد علماء بغداد ونبغ في مختلف المجالات العلمية والفلسفية، وكان نبوغه باللغة العربية والشعر العربي طاغيًا على بقية تحصيلاته العلمية، وله مؤلفاتٌ علميةٌ وأدبيةٌ منها:

دواوين شعره.

الجاذبية وتعليلها.

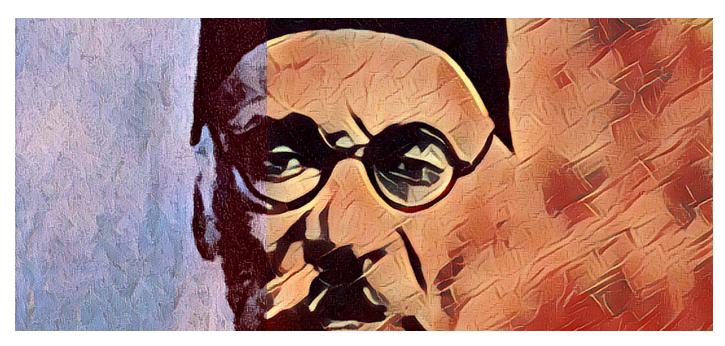
الظواهر الطبيعية والفلكية.

الخيل وسباتها.

الدفع العام.

الفجر الصادق.

كما أن لديه مجموعةٌ من الأشعار الكردية. لكن إرث الزهاوي الحقيقي، هو المئات من الناشطين المدنيين والأدباء والتنويرين الذين مهّد لهم الدرب بوصفه أحد أعمدة التنوير العربي في عصرٍ ندر فيه من أنهى الجامعة، فنحن إرثه الحقيقي!





هل فرشتَ العشبَ ليلًا وتلحَّفتَ الفضاء زاهدًا فيما سيأتى ناسيًا ما قد مضى

> منطقة حرة لا ضرائب فيها على التفكير، تختفي هالات القدسية هنا ويتساوى الجميع.

- **f** /MINDREL
- **t** @MindisReligion
- **B** mind-den.blogspot.com



طُرفٌ ونوادر وكلمات مشهورة

لَمَّا بَدَا لِي أَن قَلبِكَ مَلَّني وعَلِمتُ أَن هُناكَ ما لا أعلمُ أقسمتُ أَلاَّ أُورِدَ اسمُكَ فِي فَمي لكنني قَد كُنتُ باسمِكَ أقسم

أقسَمْتُ أي لن أراكَ مجددًا وحسمتُ أمري فيكَ كُرهًا فانحسم لكنني ما كنتُ أعرف أن لي عينانِ لا يعنيهما ألفي قسم

عاشرٌ أُناسًا بالذكاءِ تميزوا

لموت الفَتى خير له من معيشة

والجاهُ ليس بألقابٍ مفخمةٍ

لَيْسَ يَرْقَى الأَبْنَاءُ فِي أُمَّةٍ مَا

يقولون إن الدهرُ يصلح فاسدًا لناقدمٌ في الحكم تعوزها الخطى

مزقي يا ابنة العراق الحجابا

قد جاءنا أبو أحمد قد حلت القهوة لي

يمشي كمشية الأسد صب يا ولد صب يا ولد

واختر صديقك من ذوي الأخلاقِ

يَكُون بها عبئًا ثَقيلًا عَلى الناسِ

تُهدى لمنغمِسٍ في الإِثمِ منتهبِ

لَمْ تَكُنْ قَدْ تَرَقَّتْ الأُمَّهَاتُ

فما حيلةٌ الإنسان إن فسد الدهرُ

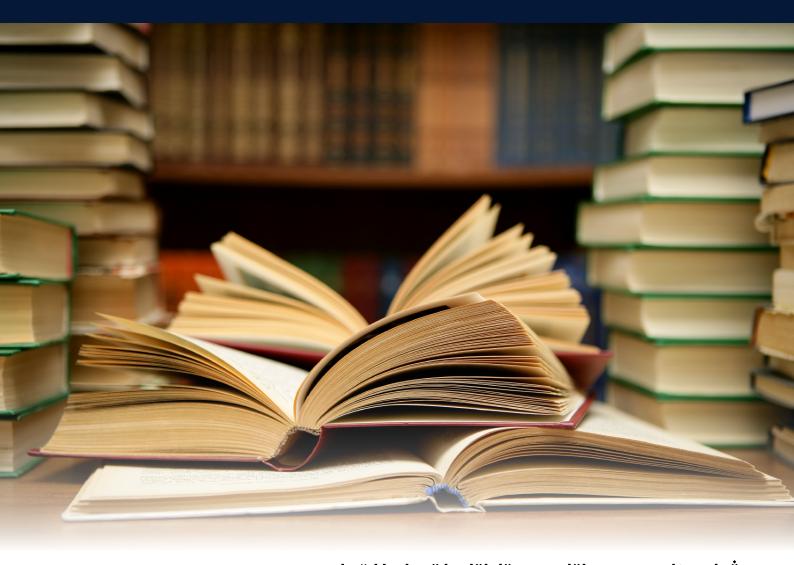
وحرية في القول يعوزها الجهر

وأسفري فالحياة تبغي انقلابا

مصادر أخرى

- 1- مستورد من: منصة البيانات المفتوحة من المكتبة الوطنية الفرنسية
 - 2- شعر جميل صدقى الزهاوي.
- 3- أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران -وليد الأعظمي مكتبة الرقيم بغداد 2011م صفحة 138.
 - 4- البغداديون أخبارهم ومجالسهم إبراهيم عبد الغني الدروبي بغداد 1958م صفحة 4
 - 5- الموجز في الشعر العربي، تأليف الشاعر فالح الحجية الكيلاني.

مجلة توثيقية علمية إلحادية



شاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية



http://arabatheistbroadcasting.com/aamagazine



https://www.aamagazine.blogspot.com



https://www.facebook.com/pages/AAMagazine/498136386890299



https://issuu.com/928738





تصحيح المفاهيم

أنتم تلحدون لتتحروا من قيود الأخلاق؟

لربما كانت هذه التهمة من أكثر التهم شيوعًا من بين ما يطلقه المؤمنون ضد الملحدين، فالدين في رأيهم هو الضابط الأوحد الذي يمنع الناس من الانحراف والإغراق في الشهوات (كما يسمّيها أهل الدين). فما مدى صحة هذا الأمر؟ يقوم افتراض من يقول بهذا الزعم على أساسين، أولهما أن المؤمن يرتدع عن فعل الرذائل ويسارع إلى فعل الخيرات بسبب دينه، وبسبب دينه فقط، وثانيهما أن هنالك قائمةً من الأمور التي يعتبرها المؤمن من الرذائل والأخرى من الخيرات، يكون الخروج عليهما خروجٌ على الأخلاق.

لنبدأ إذًا بالحديث عن دور الدين كضابطٍ أخلاقيٍ ناظمٍ لحياة البشر. إن مما لا شك فيه أن الأديان عمومًا جاءت فيما جاءت بمحتوىً أخلاقيً كان له عظيم الأثر من الناحية التاريخية، لا سيما في فتراتٍ وأماكن لم يكن معنى القانون فيما واضحًا أو سهل التطبيق. لكن قول ذلك شيء، والقول إن الدين هو مصدر الأخلاق، أو أن الناس إن تصرفوا بشكلٍ أخلاقيً يكونون يطبقون الدين هي أمورٌ مختلفة. وهنا تحضرنا مقولةٌ للشيخ محمد عبده عندما زار أوروپا في أواخر القرن التاسع عشر إذ قال: «رأيت في أوروپا إسلامًا بلا مسلمين، وفي بلدنا مسلمين بلا إسلام»، من منطلق أن ثقة ترادفًا بين الأخلاق والإسلام. ونرى أمرًا مشابهًا لدى المسيحيين الناطقين بالإنجليزية حين يصفون فعل الخير بأنه «فعلٌ مسيحي»، على اعتبار أن المسيحية شرطٌ للتصرف الأخلاقي. عندما ينشأ المرء في بيئة تُعلّم الدين منذ الصغر وتؤكد على دوره في حياة الناس، فلا عجب أن نرى شيوع هذه الأفكار، وليس من المستغرب إذًا أن نرى المؤمنين يعتقدون الملحد شخصًا لا يتحلى بالأخلاق أو يعترف بها. ولنلاحظ أن هذين المثالين لا يقولان إن الدين في نظر أهله شرطٌ ضروريٌ للتصرّف الأخلاقي على العموم، وإنما أن دين المتحدث هو الشرط الأساسي لذلك، وإلا لما ذُهل محمد عبده مما رأى، ولما نعت بعض المسيحيين الفعل الأخلاقي بالمسيحي.

تنبني أطروحة المؤمن عادةً على أساس أن الدين يقول بوجود العقاب والثواب على ما يفعله المرء، وأن الله (أو من ينوبه من الملائكة) يراقبون أفعالنا ويحاسبوننا بها أو بنيّاتنا أو بكليهما. لذا، فانعدام الإيمان بهذه الأمور سيؤدي بالمرء إلى ارتكاب أفعالٍ منافيةٍ للأخلاق. هنالك افتراضٌ مبطّنٌ هنا مؤدّاه أن الإنسان بلا هذه الضوابط هو بطبيعته كائنٌ لاأخلاقي سيقتنص أي فرصةٍ لارتكاب كل ما ينافي الأخلاق.

تصحيح المفاهيم

لنبدأ أولًا بالتأكيد مع المؤمن على فكرة أن وجود رقيبٍ يرى التصرفات (وربما أيضًا يحاسب) سيؤدي إلى تغييرٍ في سلوك المرء عمّا لو كان سيفعله في غياب هذا الرقيب. هذا أمرٌ بديهي، لكنه أيضًا أمرٌ بت دراسته وتأكيده بصورة أكاديمية في العقود الأخيرة. ضع كاميرا للمراقبة في متجر وبجانبها شاشةٌ تظهر للمتسوق ما تراه الكاميرا وسيتولد لدى المتسوق شعورٌ بأنه مراقب (سواء أكان مراقبًا حقًا أم لا)، وسيدفع ذلك بعض من قد تسوّل له نفسه بالسرقة إلى الامتناع. لكننا نعرف تمام المعرفة في ذات الوقت أن هنالك من لا يمتنع، رغم إدراكه لوجود الكاميرا. هنالك سارقون يخفون وجوههم، وهنالك من لا يخفونها، فما الذي يحصل هنا؟ لم لا يمتنع هؤلاء رغم معرفتهم أنهم مراقبون، وأن يخفون وجوههم، وهنالك بهم وتعرّضهم للعواقب؟ إن من يُقدم على السرقة يقوم بإجراء موازنة لما سيكسب وما سيخسر، ويرى المكاسب أكبر من الخسائر، أو أنه سيتمكن من الهروب، وغير ذلك من الحسابات. فالمراقبة منعت البعض، لكنها لم تمنع الكل.

والآن لنقارن بين حالتين. الحالة الأولى هي لأبٍ فقير لا يملك قوت أطفاله يقوم بسرقة طعام لأجلهم، والثانية لسارق محترف يريد السطو على خزنة بنك تحوي قدرًا كبيرًا من النقود، ولنفترض وجود مراقبة من نوع ما في الحالتين. قد يميل البعض للتعاطف مع الشخص في الحالة الأولى، بل وقد يذهب إلى حد تسويغها (لكننا هنا سنعلق الحكم على فعله ذاك) باعتبار أنه وجد نفسه



مرغمًا، فارتكب شرًا صغيرًا في سبيل إنجاز خيرٍ كبير، في حين يصعب التعاطف مع الشخص في الحالة الثانية، حيث يريد أن يغتني بشكلٍ فاحشٍ على حساب غيره. من ناحية القانون كلاهما سارق. والآن لنسأل السؤال التالي من منظور النظرة الدينية للأخلاق: هل يمكننا الحكم على مدى تدين هؤلاء الشخصين؟ هل نستطيع القول إن أحدهما مؤمنٌ أو ملحد؟ طبعًا لا. إن من أبرز نتائج تلك النظرة افتراض أنه عند إجراء مقارنة بين مجتمع متديّن وآخر غير متديّن سنجد أن السرقة (مثلًا) متفشيةٌ في ذلك الذي يغيب فيه الدين، وشبه معدومة حيث يزدهر الدين. إذًا على على هذا الأساس، نتوقع أن تكون الضوابط الداخلية للمؤمنين كافيةٌ لمنعهم من السرقة، بحيث تنعدم السرقات في المجتمعات المتدينة، وتنتفي الحاجة للشرطة والقانون والمحاكم والسجون. ولكن هل هذا صحيح؟ أينما ذهبنا على وجه البسيطة، في البلدان الإسلامية، والمسيحية والملحدة وغيرها سنجد شرطة، ونجد سرقات، ومحاكم وسجون. أين فعل الدين ودوره في الردع؟ كيف يمكن للمؤمن أن يسرق إن كان مؤمنًا؟ ما فائدة إيمانه في هذه النقطة؟ أم لعله غير مؤمن بما فيه الكفاية؟



كل هذه الأمور تدعو إلى الاستنتاج أن الإيمان ليس ضمانةً لخلق مجتمعٍ أخلاقي. ولنلاحظ هنا أنواع الثواب والعقاب الديني؛ فهي قد تكون أخروية، كترغيبٍ بجنةٍ أو ترهيبٍ من نار. وقد تكون دنيويةً مباشرة، كقطع يد السارق، وقد تكون دنيويةً غير مباشرة، كانعدام التوفيق في الحياة مثلًا بسبب ارتكاب المعاصي. في هذا السياق، نرى أن العقوبة المباشرة لا تختلف من حيث المبدأ عما قد يوقعه القضاء من عقوبةٍ بعد اعتقال السارق، ووجود هذه العقوبة الدنيوية يتناقض من حيث المبدأ مع وجود الوازع الداخلي كرادعٍ ودليلٍ يقود المرء في حياته ويملي عليه تصرفاته.

فما الدور الذي لعبه الدين تاريخيًا في هذا السياق إذًا؟ إن عدنا إلى الوراء سنجد أن الدين لم «يخترع» هذه القواعد (ولنستذكر هنا قوانين حمورايي مثلًا، أو القانون الروماني). كل ما فعله الدين هو صياغة بعضها على شكل أوامر ونواه ترتبط بعقاب وثواب. فمن أين أتت إذًا؟ هي ضروراتٌ تتولد تلقائيًا مع اجتماع البشر. لننظر إلى السرقة أو القتل، أو الاغتصاب، ما المانع منها؟ هل هي رذائل لأنها تغضب الله؟ لماذا تغضب الله؟ أم لعلها رذائل لأن فاعلها شخصي سيتلقى عقابًا أخرويًا ويُحرم من الثواب؟ ليست أيًا من هذه المسوغات أخلاقًا، هي مجرد علاقاتٍ مختلقة بين أفعالٍ بشريةٍ وعواقب إلهيةٍ مزعومة لا ترتبط بالفعل البشري نفسه بشكلٍ أصيل. فما البديل؟ ما المانع من هذه الأفعال؟ بل هل من مانع أصلًا خارج إطار الدين؟ طبعًا هنالك مانع، والمانع كبير، بل هو المانع الحقيقي الذي يقبع وراء الواجهة الدينية الزائفة. لنتخيل حال مجتمع لا عواقب فيه على السرقة، مجتمع لا تعتبر فيه السرقة بأي صورة كانت أمرًا مرفوضًا، كيف سيكون حاله؟ أبرز نتائج العيش في ذلك المجتمع هي غياب الدافع للعمل، فإن كنت سأبذل جهدي في زراعة حقلي ثم يأتي جاري ويأخذ محصولي دون مقابلٍ مالي فسيكون همّي حراسة المحصول، وما أنني قد لا أتلقى مردودًا ماليًا فلن أقوم بزراعة أكثر من حاجتي المباشرة، أي فسيكون همّي حراسة المحصول، وما أنني قد لا أتلقى مردودًا ماليًا فلن أقوم بزراعة أكثر من حاجتي المباشرة، أي ألني لن أملك فائضًا، وغياب الفائض هو قصفٌ للمجتمع من أساسه، فالمجتمع البشري هو في أساسه تجمعٌ لبشرٍ

يقوم كلٌ منهم بعمل ما، يتخصص فيه ويتقنه بحيث يوفّر خدمته للبقية مقابل أن يوفروا له هم بالمقابل منتوجًا آخر. أي أن منع السرقة هو شرطٌ أساسي لخلق هذا النمط من التعايش الذي يتعدى سد الحاجة الفردية المباشرة، منعها هو شرط أساسيٌ لقيام المجتمع وليس أمرًا إلهيًا لا يهتدي إليه البشر دون وحي يتنزل إلى رسول.

لقد رأينا للتو إذًا أن الدين قد يتمكن من ردع جزئي لكن القول إنه ضابط للأخلاق هو مغالاةٌ يشهد بها كل من يدرك أن الصلاة لا تنهى عن



الفحشاء والمنكر وسرقة الأحذية. لا يرتكب جرعةٌ إلا من امتلك دافعًا قويًا وفرصةً مواتيةً لارتكابها، لن يردعه إيمان ولا غيره.

توجد في الأديان آليةٌ قد تبدو حميدةً، وهي آلية الاستغفار والتكفير عن الذنب، والتي يقوم بموجبها المؤمن بطلب الصفح من الله بالدعاء أو بأداء فعلٍ مراسيمي، كإعتاق رقبة عند القتل الخطأ في الإسلام مثلًا. لكن الاستغفار هو في الواقع رخصةٌ لارتكاب الذنوب ثم غسلها، ومنها ما هو مبالغٌ فيه، مثل ما نقل في الحديث عن محمدٍ قوله: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» وغيره الكثير. فما الذي سيدعو مؤمنًا يمتلك الاستغفار والتكفير عن الذنوب ليخرج من دينه لارتكاب الذنوب إن كان يستطيع التوبة؟

هذا يقودنا إلى نقطة الخلاف الثانية المتعلقة بالأمور التي يعتبرها الدين لأخلاقية، ويراها من ترك الدين أمرًا لا علاقة له بالأخلاق، والواقع أن كلمة أخلاق لا تصف الأشياء التي يأمر بها الدين والتي ينهى عنها، فمهوم الدين عن هذه الأشياء يتقاطع مع الأخلاق في بعض الجوانب لكنه لا يكافئه تمامًا، فمفهومه في الإسلام لكنه لا يكافئه تمامًا، فمفهومه في الإسلام يقابل الحرام والحلال. مثلًا، مسألة تحريم أكل الخنزير، أو شرب الكحول، أو ممارسة الجنس خارج إطار الزواج وغيرها من



الممارسات التي قد تتراوح بين كونها طقوسًا إلى كونها عادات وتقاليد موروثة من عصورٍ ولّت وانتهت. تكمن المشكلة في أن المؤمن بسبب غياب مفهوم الأخلاق ووجود الحلال والحرام بدلًا منه، يقوم بوضع السرقة والقتل في نفس فئة ممارسة الجنس خارج الزواج أو ممارسة الجنس المثلي، في حين أنها أمور تختلف جذريًا. فخارج إطار الدين يكون المقياس الأساسي عدم إيقاع الضرر على الآخرين. القتل والسرقة مثلًا توقعان ضررًا على الآخرين (وعلى الجاني بشكل مباشر من خلال العقوبة وغير مباشر بإضراره ببيئته المحيطة ومن فيها). أما ممارسة الجنس دون زواج فهو لا يضر أحدًا إن كان بالتراضي وبين بالغين راشدين، ودون خيانات زوجية تؤذي طرفًا ما. كذلك الحال مع احتساء الكحول، فمجرد أن كثرة الكحول تذهب العقل لا تعني أن احتساءه من حيث المبدأ مرفوض، وفي هذه نرى أمثلةً على المسؤولية التي تقع على عاتق الإنسان بلا دين، حيث يتعين عليه التوازن واللجوء إلى عقله وضميره عند التصرف. هذه هي المسؤولية الأخلاقية التي لا يعرفها المؤمن، والذي يركن إلى إلهه ودينه ليلقناه ما يعرفه، أو ليوجهانه ضد ما يعرف أنه خطأً في كثيرٍ من الأحيان، ومع ذلك يستمر في الاعتقاد أنه لا يعقل دون دين.

رسومات دينية ساخرة

80

غير مناسبة لذوي المشاعر الدينية المرهفة





www.facebook.com/M-80-II-941772382615672

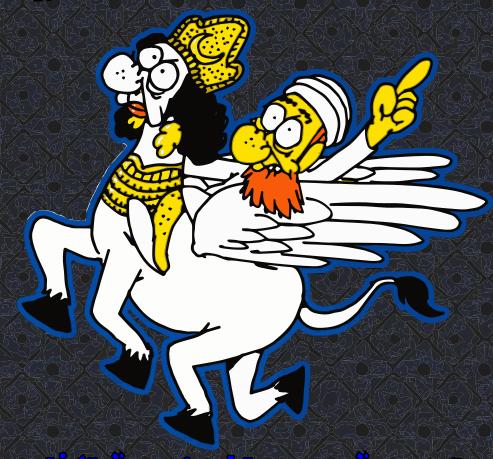








amily aday



CIMULICATION OF AUSTONER

بنامت في ترجية هله الحلقة: Ayman Pheidias Alia'a Damascéne



















































(1). وفاة عبد المطلب:

- «ثم لما كان سنه على أن سنين: أي بناء على الراجح من الأقوال المتكاثرة، ويرجحه ما يأتي: توفي عبد المطلب وله من العمر خمس وتسعون سنة، وقيل مائة وعشرون، وقيل وأربعون: أي ولعل ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزي لعبد المطلب في المعمرين. قال: وقيل اثنان وثمانون: أي وعليه اقتصر الحافظ الدمياطي، قال: وقيل مائة وأربعة وأربعون اهـ وقد قيل له على «يا رسول الله أتذكر موت عبد المطلب؟ قال نعم وأنا يومئذ ابن ثمان سنين».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له ﷺ، الجزء (1)، الصفحة (165-164).

(2). جمع عبدالمطلب لبناته ليبكينه قبل موته:

- «عن ابن إسحق أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته وكن ست نسوة: صفية، وهي أم الزبير بن العوام وبرة وعاتكة، وأم حكيم البيضاء: أي وهي جدة عثمان بن عفان لأمه، وأميمة وأروى، فقال لهن: ابكين علي حتى أسمع ما تقلن في قبل أن أموت، فقالت كل واحدة منهن شعرا في وصفه مذكور في تلك السيرة، ولما سمع جميع ذلك أشار برأسه أن هكذا فابكينني».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هــ باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له ﷺ، الجزء (1)، الصفحة (166).

(3). حداد أهل مكة على عبدالمطلب:

- «قال ابن هشام رحمه الله: لم أر أحدا من أهل العلم بالشع<mark>ر يعرف هذا ا</mark>لشعر إلا أنه: أي ابن إسحق لما رآه عن ابن المسيب كتبه. قال بعضهم: ولم يبك أحد بعد موته ما بكي عبد المطلب بعد موته، ولم يقم لموته بمكة سوق أياما كثيرة».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دا<mark>ر ال</mark>كتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ، باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له ﷺ، الجزء (1)، الصفحة (166).

(4). إيصاء عبدالمطلب محمد إلى أبي طالب:

- ولما حضرته الوفاة أوصى به الله الله الله عمه شقيق أبيه أبي طالب: أي وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبد المطلب كما تقدم، واسمه على الصحيح عبد مناف».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ، باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له ﷺ، الجزء (1)، الصفحة (165).

(5). حب محمد لعمه أبي طالب وحب عمه له:

- «وحين أوصى به جده لأبي طالب أحبه حبا شديدا لا يحبه لأحد من ولده، فكان لا ينام إلا إلى جنبه، وكان يخصه بأحسن الطعام: أي وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله وشي منهما، فخرجت القرعة لأبي طالب، وقيل بل هو الته المطلب الله عبد المطلب...».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ، باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له ﷺ، الجزء (1)، الصفحة (165).

(6). فقر أبي طالب وبركة محمد:

 ■ السيرة الحلبية - إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية - 1427 هـ باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له ﷺ، الجزء (1)، الصفحة (169).

(7). أناقة وجمال محمد مقارنه بنظرائه:

- «وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا بضم الراء وإسكان الميم ثم صاد مهملة ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ، باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له ﷺ، الجزء (1)، الصفحة (169).

(8) ما حفظ الله به محمد صغره:

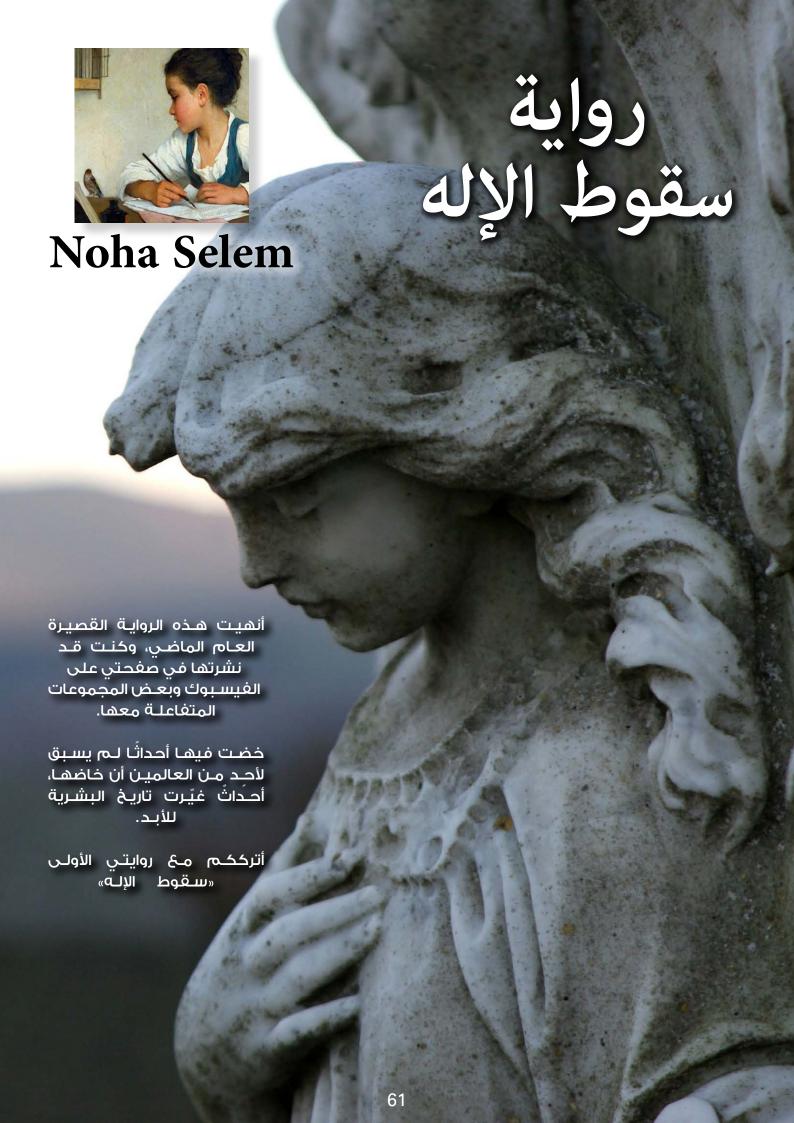
- «ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عنه الله عنه قلت لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها، أي وفي لفظ قلت ليلة من الدهر، كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما، أي من فعلهما، قلت لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها، أي وفي لفظ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلها، أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم، فخرجت، فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان قد تزوج بفلانة، لرجل من قريش تزوج من امرأة من قريش، فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، أي وفي لفظ فجلست أنظر- أي أسمع- وضرب الله على أذني، فو الله ما أيقظني إلا حر الشمس، فرجعت إلى صاحبى، فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ، باب ما حفظه الله تعالى به في صغره ﷺ من أمر الجاهلية، الجزء (1)، الصفحة (179-178).

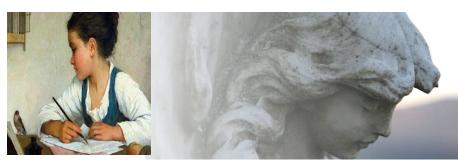
(9). مراقبة الملائكة لسلوك محمد ومنعه من التعري:

- «فمن ذلك ما ذكر ابن إسحق أن رسول الله على قال: لقد رأيتني. أي رأيت نفسي- في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرّى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر، إذ لكمني لاكم: أي من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة، وفي لفظ لكمنى لكمة شديدة... ثم قال شدّ عليك إزارك، فأخذته فشددته علىّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزاري علىّ من بين أصحابي».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ، باب ما حفظه الله تعالى به في صغره ﷺ من أمر الجاهلية، الجزء (1)، الصفحة (178).

(10). رعية محمد للغنم أكسبته صفات الحلم والرحمة والعدالة:

- «عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله عليه: ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، قال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط... ومن حكمة الله عز وجل في ذلك أن الرجل إذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفا، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي، فيكون في أعدل الأحوال».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ باب رعيته الغنم، الجزء (1)، الصفحة (184-183).





Noha Selem

الفصل الأول: «الصدمة»

استيقظت بعد نوم عميقٍ على صوت ضحكاتٍ ماجنةٍ في الغرفة المجاورة ... آه، أحس بثقلِ شديدٍ في رأسي، يبدو أنني خِت كثيرًا البارحة...تساءلت متثائبةً وأنا أكاد أفتح عينيّ بصعوبة ...

ما هذا؟! تساءلت مندهشةً وعيناي تحدقًان في السقف في ذهول، ثم بدأت أهز رأسي وأنظر مرةً أخرى في اندهاش! هذا مستحيل، ونزعت الغطاء الحريري عني وأخذت أنظر في ذهولِ لباقي أنحاء الغرفة.

ما هذه الغرفة؟ وكم مضى عليّ من الوقت وأنا نائمة، ومن أحضرني إلى هنا؟ أخذت أتساءل في تعجبٍ وأنا لا أستطيع فهم أي شيءٍ مما يحدث، ونهضت من سريري الناعم ببطءٍ وحذر، وأخذت أتجول حافيةً في أرجاء الغرفة وأنا أحدّق بالأرض في ذهول.

> نعم إنه ذهب، لست أتخيل ... قلتها وأنا أتحسس بقدميّ أرضية الغرفة الباردة. هذا غير ممكن، استيقظي يا نهى ...

كل شيءٍ في هذه الغرفة من الذهب الخالص، الأثاث والسقف والأرضيات والجدران، تتخللها زينةٌ بأحجارٍ براقةٍ لم أرَ لها مثيلًا من قبل ...

هل هبطت عليّ ثروةٌ من السماء فجأةً وأنا لا أدري، أم أنهم اكتشفوا أنني حفيدة أحد السلاطين بين ليلةٍ وضحاها؟

وجدت نفسي فجأةً أمام المرآة التي تتوسط الغرفة وكانت الصاعقة الثانية:

من هذه؟!! هذه لبست أنا!!



Noha Selem

من هذه الفتاة التي أنظر إليها في المرآة، لا ملامحها ولا بشرتها تشبهني! صحيحٌ أنها تبدو فتاةً رائعة الجمال، لكنها ليست أنا، فأنا بالتأكيد أجمل أو هكذا أحسست دامًًا.

أين شعري الأسود الجميل، أين بشرقي الخمرية التي طالما حسدتني عليها صديقاتي وقريباتي؟ أين ملامحي المصرية التي عشقتها في نظرة عينيّ حبيبي ...؟

مَن هذا التمثال الخالي من الروح الذي أقف أمامه؟!!

ثم ترددت إلى مسامعي أصوات الضحكات الماجنة مرةً أخرى وأحسست بانقباضٍ غريبٍ كأنني وُلِدت به منذ زمنٍ بعيد...

مشيت بحذرِ في الردهة الطويلة أتتبع مصدر الصوت، وكلما مشيت واقتربت من مصدر الصوت صار أوضح،

حتى وصلت إلى غرفةٍ بابها موارب، ورائحة الدخان والخمور تنبعث بقوةٍ تزكم الأنفاس. ففتحت الباب لأتسمر في مكاني من الصدمة!

وضعت يديّ على وجهي فجأةً من الخجل والذهول. كان رجلًا عاريًا محاطًا بعشراتٍ من الفتيات، وأخرياتٌ يرقصن في ميوعةٍ وابتذالٍ ولا يعيرهن أحدٌ انتباهًا. حدّق فيّ الرجل في اندهاشٍ وهو يرى علامات التعجب على وجهي...

ما بك حبيبتي، لما تبدين متفاجئةً اليوم، تعالي جانبي فأنا أفتقدك منذ عدة أيام...

ما هذا، ولماذا يخاطبني هذا الرجل بحبيبتي؟!

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أركض خارج هذا المكان القميء...

لا أعرف كم ركضت وإلى إين أركض، فهذا القصر لا تبدو له نهاية. وأخيرًا وجدت نفسي أمام بابٍ مهيبٍ محاطٍ بهالةٍ كبيرةٍ من النور، وأحسست عندها بالخوف. هل أفتح هذا الباب؟ وما هذا النور المنبعث من خلفه؟

لم تستمر تساؤلاتي طويلًا، فما إن اقتربت من الباب حتى وجدته يفتح وحده. تسمّرت مرةً أخرى في ذهول! فعلى مرمى البصر رأيت حدائق وزهورًا تتوسّطها جداولُ من الماء العذب وترفرف في سمائها طيورٌ لم أرَ لها مثيلًا في جمالها



Noha Selem

وزهوها. مشيت ببطء خارج الباب مسحورةً بالمنظر الخلاب، والموسيقى العذبة التي تأسر اللب والروح. لكن ما إن ابتعدت قليلًا عن القصر حتى بدأت تزعجني أصواتٌ مشابهةٌ للتي سمعتها في الغرفة المجاورة، فالقصور متراميةٌ هنا وهناك، والهدوء الذي يخيّم على المكان يساعد في سماع هذه الأصوات.

لا أعرف كم مشيت ولا كم من الوقت قد مضى عليّ وأنا على هذه الحالة، فلا شمسٌ هنا ولا شيءٌ يدل على الوقت. فقط نورٌ ساطعٌ لا أعرف له مصدرًا...

وكلما مشيت أكثر يتملكني شعورٌ بالوحشة من هذا المكان، وكأني أعرفه وأمقته منذ الأزل. رويدًا رويدًا بدأت تعود إلى ذاكرتي وبدأت أتذكر من أنا ولماذا أنا هنا ...

آهٍ... ها أنا أتذكر أن الرجل في الغرفة المجاورة هو زوجي أبو عبيدة، وهو أحد المجاهدين الذين فجروا أنفسهم في سوقٍ مليءٍ بالكفرة والزنادقة. وأنا هنا في الجنة، إنها حقيقةٌ كما حاول المسلمون يائسين أن يقنعونا بها. لكن كيف، ألست ملحدةً، ألم أنكر وجود الحساب من قبل؟

كيف أنا هنا ولماذا أنا هنا ...؟

هل ستسعفني الذاكرة؟

الفصل الثاني: الموت والبعث

واصلت السير بجانب نهر الخمر، وبدأت أتذكر الأحداث التي مررت بها.

أنا نهى، الأميرة الحالمة التي طالما هاجمت الأديان وانتقدتها بقسوةٍ وأنا هاهنا في الجنة التي وعد بها الله المتّقين. إنها، صدقًا، كما قال سبحانه! ونحن الآن في العام التريليون وخمس مئة مليونِ حسب مقياس الدنيا.

وفي الحقيقة لا يوجد وقتٌ هنا، لكني عرفت الوقت من ساعةٍ أرضيةٍ أهداني إياها الملاك الخاص بتلبية رغباتي عندما طلبتها منه. فهو أهداني إياها خلسةً بعد أن وقع في غرامي، فمعرفة الوقت شيءٌ غير مسموحٍ به هنا، بل إن معرفة أي شيءٍ هو من كبرى المحرّمات في الجنة ...

لكن يبدو أنني لا زلت أحتفظ ببعض الجينات الشيطانية بعد كل هذه السنين. ولكن كيف أتيت إلى هنا ولست مع أصدقائي الكفار في النار؟ إنها رحمة الله سبحانه وتعالى!



Noha Selem

لازلت أتذكر تلك اللحظات وكأنها مرت بالأمس، فبعد أن عشت حياةً صاخبةً مليئةً بالإثارة والتحديات، جاءتني لحظاتٌ سوداويةٌ أُصبت فيها بالاكتئاب نتيجة بعض المشاكل التي واجهتها وتكالبت عليّ حتى يئست من حياتي. يومها التقيت بصديقتي المحجبة وتكلمت معي كثيرًا عن عظمة الإسلام وكيف أنه راحةٌ للنفوس وأنني سأجد فيه السلام الروحي و...

لا أعرف كيف أقنعتي لحظتها أن أنطق الشهادتين، لعلّي كنت مخدرةً أو يائسةً، ولربما شيءٌ ما تلاعب بتفكيري. بعدها بلحظاتٍ وإذا بزلزالٍ كبيرٍ يضرب مدينتنا، وشعرت لحظتها بخوفٍ عميق، وما هي إلا لحظاتٌ حتى وجدت روحي خارج جسمي، وبدأت أشاهد آلاف الأرواح الأخرى تخرج من أجساد أصحابها هامّةً مذعورةً مرتبكةً، وحولها أيضًا ألوفٌ مؤلفةٌ من الكائنات النورانية التي تتخبط في كل اتجاه ...

ورغم رعب المشهد، إلا أنني كنت أشعر بسكينة وراحة غريبة. هل عقلي الباطن يتجاهل مخاوفه فيرسل إلى عقلي إشاراتٍ مغايرة، أم أن مشاعري وتفكيري اختلفت في اللحظة التي فارقت فيها روحي جسدي؟

لست أدري!

ثم فجأةً وجدت نفسي محاطةً مملكين مملامح مختلفة، أحدهما أبيضٌ والآخر أسود، وتذكرت عندها قصة ناكرٍ ونكيرٍ التي طالما سخرت منها...

ولم يطل اندهاشي طويلًا، فقد قاطعني الملكان:

نهی، هل تریننا؟ أهلا ناكر ونكير، رددت مبتسمةً.

نظر الملكان نحوي بتعجب!

كيف لا زلت تدركين ما حولك ولماذا لست مذعورةً؟ ألست ميتةً الآن؟

فضحكت بصوتٍ عالٍ حتى اهتزت السماء من صوت قهقهتي واختبأ الملكان مذعورين مما حدث.



Noha Selem

ما هذا، كيف فعلتي هذا، أننا لم نرَ مثل هذا من قبل رغم أننا في هذا العمل منذ آلاف السنين؟

يبدو أنني من يستجوبكما اليوم! قلتها وأنا لا زلت أضحك في مرح...

واصل الملكان النظر صوبي بتعجبٍ كأنهما لم يفهما شيئًا مما قلت، ثم خيّم السكون لبضع دقائق، حتى قررت أن أقاطعه متسائلةً:

حسنا، سأبدأ أنا بالأسئلة:

ألا تلاحظان أنكما أخطأتها وأن هناك ملاكًا مفقودًا، المفروض إما أن تكونا ملكين أبيضين أو أسودين.

نظر الملكان إلى بعضهما البعض ثم نظرا إليّ في اندهاشٍ ولم ينطقا بشيء، لكنّهما فرّا هاربين إلى السماء. وبعد دخولي الجنة. فهمت القصة.

فهذه القصة هي من اختلاق اتباع محمد، عندما أرادوا أن يُضيفوا بعض البهارات على الديانة المحمدية حتى يعطونها بُعدًا حضاريًا في مواجهة الحضارات المتقدمة التي أغاروا عليها خلال الغزوات البربرية الإسلامية، خصوصًا عندما رأوا المقابر والمعابد والأهرامات التي تحترم وتقدس الموتى في تلك الحضارات. لكن نتيجة ضحالة وسطحية الحضارة البدوية، فقد وقعوا في عدة أخطاءٍ غبيةٍ ناقضت ما سردوه سابقًا في كتابهم المقدس المسمى بالقرآن.

فالإنسان قد يشاهد ملائكةً بعد الموت، لكن لا لتختبره في شيءٍ سُجِّلت نتيجته مسبقًا عن طريق ملائكة المراقبة أو لتخبره بمقعده من الجنة والنار، بينما المحاكمة الإلهية لم تُعقَد بعد، لكن فقط هي ملائكة المراقبة التي كانت تعيش على كتفيه، وقد تحررت بعد وفاته لتعود إلى مكانها في السماء في انتظار مهمةٍ أخرى ...

ومرت الأحداث بعدها سريعًا، فالوقت هنا مختلفٌ كليًا عن وقت الأرض، فما هي إلا بضع ساعاتٍ حتى رأيت الأرض والسماء تنهار، وبدأت أحداث القيامة التي طالما توعدتنا بها الأديان السماوية. لكن ما هذا الغباء الذي لم نفكر به من قبل، فيوم القيامة كله لا يزيد عن يومٍ واحدٍ هنا، ألم يقل الله أن يومًا عند ربك بخمسين ألفًا مما تعدون؟ نعم ونحن في الأرض كنا نظنه شيئًا مهولًا، لكننا بعد الموت نخضع لمقاييس السماء، والخمسون ألف سنةٍ ما هي إلا يومٌ سماويٌّ بسيط.



Noha Selem

حقيقةً لا أفهم لماذا لم يستشر الله بعض الملحدين قبل أن يرسل كتابه المليء بالأخطاء، فقد كان هذا كفيلٌ بأن يجنبه الكثير من الإشكالات والإحراج الذي عانى منه أتباعه لاحقًا عند مناظرة الملحدين.

وأخيرًا جاءت لحظة الحقيقة، وحان وقت الحساب!

الفصل الثالث: الحساب ودخول الجنة

وبدأنا نقف في طابورٍ طويلٍ لا نهاية له، فمليارات البشر يجب أن تُعرَض على المحاكمة الإلهية في حضرة الله شخصيًا. ويبدو أنه شيءٌ لم يحسب الله حسابه جيدًا، فهو لا يمكنه الانتهاء من كل هذا العدد في يوم سماوي واحد. وأمام تصاعد احتجاج البشر، اضطر الله أن يستخدم قواه الإلهية في تعديل إحساس البشر بالوقت مرة أخرى، مع نزع الشعور بالتعب والملل منهم، قام بتعديل طول يوم القيامة ليكون عدة ملايين من السنين الأرضية ... وبعد طول انتظار، جاء دوري في المحاكمة الإلهية، وقال لي الملاك الحاجب، انتظري هنا، سأستأذن الله لأدخلك.

وما أن دخل إلى منطقة العرش، حتى اقتربت قليلًا من الباب لأتنصت على المحادثة... سبحانك ربي رب العرش العظيم، إن نهى سليم الشهيرة بالأميرة الحالمة تنتظر على الباب في انتظار عطف جلالتك لإدخالها إلى المحاكمة، قالها الملاك الحاجب وصوته مرتعشٌ من الخوف أمام الحضرة الإلهية:

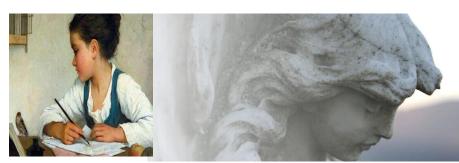
من، نهى ... لا لا لا

قالها الله بصوتِ مذعور.

هذه الفتاة لسانها طويلٌ وستتعبني وستعقد لي محاكمةً بدلًا من أن أحاكمها.

لقد غششت في مصيرها وعطلت عقلها في آخر أيامها حتى أُدخلها الإسلام وأخلص من مجادلتها التي تسبب لي صداعًا.

خذ هذه القلادة فهي ستسمح لكم بتجاوز كل نقاط التفتيش، وانطلق بها مباشرةً إلى الجنة وأدخِل الإنسان الذي يليها، لكن لا تنسَ أن تتوقف بها عند حوض الشفاعة الذي يقف عليه محمدٌ وناولها شربة الماء من هناك، فمحمدٌ لن يرضى بوجود عضوٍ في الجنة لم يشرب من مشروبه الخاص، حتى تنسى كل ماضيها ونتخلص من صداعها في الجنة وترضى أن تتزوج بأحد اتباع محمد ...



Noha Selem

وخرج إليّ الملاك متهللًا يبشرني بما ينتظرني من نعيم وسرور ...

وأخذني على بساطٍ سحري، انطلق بنا بأقصى سرعةٍ سماويةٍ إلى الجنة، لكن في منتصف الطريق توقف الملاك وقال لي إنزلي هنا.

لماذا؟ تساءلت مستنكرةً.

هذا هو الصراط المستقيم، يجب أن تعبريه بنفسك، وسأنتظرك أنا في الجهة المقابلة.

ألقيت نظرةً خاطفةً فإذا بخيطٍ رفيعٍ يفصل بين واديين، المسافة بينها كأنها المسافة بين أول الدنيا وآخرها، وتحتها حممٌ بركانيةٌ شديدة الاحمرار، تستعر وتتلظى فتطلق صرخاتٍ تكاد تنتزع الأرواح من أعماقها وتذهب بالأفئدة فتهذي في مسِّ وجنون.

ورأيت بشرًا يحاولون عبور هذا الجحيم في يأسٍ وذهول، فمنهم من يرقص كمن أصابه مسٌ أو جنون، ومنهم من يصرخ متوجعًا من ألمٍ حده المسنون، وأغلبهم يتساقطون بلا منجدٍ ولا معين، فتخطفهم ألسنة النيران كأفعًى أرجوانيةٍ تخطف فريستها في نهمٍ وشراسة، فلا يعود لهم أثرٌ بعد عين...

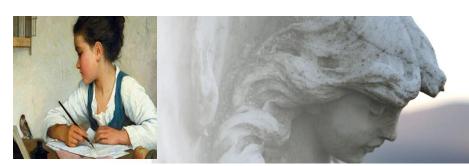
لا لن أعبر، مستحيل، هل تظنني مجنونةً لأعبر هذا الجحيم، أعدني مرة أخرى إلى الله ودعه يقابلني هذه المرة، هذا ليس عدلًا وأنا لم أحضر محاكمتي مثل بقية البشر...

همهم الملاك بكلماتٍ غير مفهومة، لكني فهمت من تعابير وجهه أنه ممتعضٌ من رفضي.

أتوسل إليك، اعبري الصراط وحدك، ستسبّبين لي مشاكل كثيرةٍ إن عُدت بك مرةً أخرى.

لن يحدث. أجبته بإصرار.

سأعبر بجانبك، وإن سقطت سألتقطك لأعيدك إلى الصراط مرةً أخرى ... أجابني ووجهه مليءٌ بتعابير التوسل والرجاء.



Noha Selem

أبدًا، لن يحدث أبدًا.

أجبته وقد بدت علامات الغضب على وجهي وأنا أكثر إصرارًا من ذي قبل.

وعندما يئس مني، أخرج الملاك من جناحه هاتفه السماوي وأجرى اتصالًا بالخط الإلهي المباشر.

لماذا تتصل بي على خط الطوارئ، ماذا حدث ... قال الله متسائلًا.

جلالتك، إن نهى ترفض عبور الصراط المستقيم...

ولم يكمل المسكين جملته، حتى أتاه صوت الله غاضبًا من خلال الهاتف: هل أنت غبيٌ أم أنك لا تصلح لشيءٍ إطلاقًا، قلت لك الأجراءات المعتادة، قلت لك الأجراءات المعتادة، وسلّم نفسك بعدها إلى كبير الملائكة حتى تنال جزاءك أيها الغبي، وأغلقَ الخط دون أن يعطي للملاك المسكين أي فرصةٍ للدفاع عن نفسه.

انتابني عندها شعورٌ عميقٌ بالذنب تجاه هذا المسكين وما فعلته به، فارتميت عليه وأخذته في حضني وأنا أمسح الدموع عن عينيه، لا عليك، تعال واقضِ معي الوقت في الجنة، لن أدعه يسلمك لكبير الملائكة.

نظر إليّ الملاك المسكين وهو خائفٌ مذعورٌ وقال:

ولكني لا أستطيع مخالفة أوامر جلالته.

لا تهتم له، ألم ترَ أنه خائفٌ من مقابلتي... دعك منه وتعال معي. معنا القلادة السحرية ولن نحتاجه في شيء ...

حقًا لن تكون هناك مشكلة؟!! قالها الملاك وهو يرمقني بنظرةٍ بائسة، نظرةٌ فيها كل معاني الخوف واليأس، والحب والعشق، كمن هوى في بئرٍ سحيقٍ لا يعرف له قرارًا، فظن أنه هالكٌ لا محالة، وأغلق عينيه ينتظر النهاية، فإذا بيدٍ حانيةٍ تظهر كنورٍ في بحر الظلمات، فيتثَبَّتُ بها بكل ما بقي في روحه من أَملٍ وشوقٍ إلى الحياة.

وانطلقنا معًا على البساط السحري إلى الجنة، وكانت رحلةً طويلةً لكنها ممتعة، أنسيته فيها أين نحن وماذا حدث، رقصنا وغنينا وتسامرنا كما لو كنا نعرف بعضنا منذ دهر. ثم وصلنا إلى أبواب الجنة، لأجدها تفتح أمامي مباشرةً بدون أي سؤال ...



Noha Selem

وما إن وصلنا إلى القصر الخاص بي، حتى وجدت الملاك يتسمّر في مكانه. يبدو أنني نسيت شيئًا مهمًا. هل مكننا أن نعود إلى مدخل الجنة؟

لا، لن أبرح مكاني ... مَن المجنون الذي يستطيع أن يغادر هذا المكان؟!!

قلتها وأنا مسحورةٌ من روعة المكان، فقد كان شيئًا يفوق الخيال، بل إن الخيال نفسه ليقف عاجزًا مشدوهًا أمام هذا الإبداع الخلّاق.

فعلًا صدق سبحانه عندما قال: ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر ...

ويبدو أن الملاك أدرك خطأه عند هذه اللحظة، فاختفى للحظاتٍ ليسرق كوب ماءٍ من حوض شفاعة محمدٍ ويعود إليّ:

اشربي هذه ... هذه هدية دخولك الجنة ...

ولأني لم أكن مدركةً بعدُ لما يحدث، فقد شربت الكوب كله دفعةً واحدةً ليسقط بعدها الكوب أرضًا، ولم أشعر بشيءٍ بعد هذا....







James Joyce

نحن لا نقدس الحجارة في شعائرنا يا كفار... بل نحن نتقرب بها من الله زلفا



Jamil M. Abdallah

«أترى الرأي لغيرك ولا تراه لنفسك» - من كتاب كليلة ودمنة



Hichem Ben Chaabene عجبتهم طقوس الحجارة من الوثنية الجاهلية فنقلوها إلى الاسلام لكن غيروا فيها شوية لكي لا يكون نقل حرفي.



Muhsin Mesan

والآن هل تعرف الحجارة التي بلا عقل ؟

